بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات في السياق القرآني

محمود محمد سيد علام (*)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المختار وآله العدول المصطفين الأخيار، وعلى من سار بِدَرْبِهِم، وعدل عن سبل الردى إلى نور الهدى ما بقي الليل والنهار، أما بعد:

فمن المعلوم لدى الدارسين أن القدماء قد تنبهوا إلى سمة بارزة من سمات الأسلوب العربي هي سمة المراوحة بين الأساليب، والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ومن صيغة لأخرى، ومن لفظ لأخر، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات عدة منها: الانتقال والانحراف والالتفات والعدول ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربية وغير ذلك.

وكل هذه المصطلحات تدور حول معنى واحد وهو نقل الكلام من حالة لأخرى، وظاهرة العدول المعجمي من أبرز الظواهر وأوسعها انتشاراً في القرآن الكريم؛ وذلك لما تشتمل عليه من إثارة ذهن المتلقي ولفت انتباهه نحو دلالات متنوعة، وهذا ما يحدثه الانتقال المفاجئ من لفظ لآخر " فإن كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا بحيث إنها كلما كانت غير منتظرة كان وقعها في نفس المتلقي أعمق " (١)

ويتمثل العدول المعجمي بين " الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه، فطرفا العدول في هذا المجال لفظان يشتركان فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون: الدلالة المركزية أو المعجمية أو الأساسية ويستقل كل منهما عن الآخر فيما يسمى عندهم: الدلالة الهامشية أو السياقية أو ظلال المعنى وألوانه، أما قيمة المغايرة بينهما فتتمثل في ملاءمة كل منهما ـ بدلالته المنفردة ـ للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام "(٢) .

والعدول المعجمي يشكل ظاهرة لغوية بارزة لها أهميتها في القرآن الكريم ولها قيمتها التعبيرية في الدلالة القرآنية؛ فالعدول عن مبنى إلى مبنى آخر لا يكون إلا لخصوصية اقتضت ذلك، فهو يؤدي حتما إلى العدول عن معنى إلى معنى آخر أو إضافة دلالة جديدة، أيضًا فإن النص القرآني المعجز قد كان دقيقا في اختياره الألفاظ والصيغ واستعمالها في المواضع

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [بلاغة العدول المعجمي في الأسماء والأفعال في السياق القرآني] تحت إشراف: أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. هناء عابدين عبد الله – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) ـ الأسلوب والأسلوبية، د . عبد السلام المسدّي ـ الطبعة الثالثة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ١٩٨٢م، ص ٨٦

(٢) ـ يُنظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د . حسن طبل ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٥٩

التي يقتضيها السياق فالمتأمل في هذه الألفاظ يقف مذهولا إزاء التناسب البياني العجيب بينها وبين سياقاتها إلى الحد الذي لا يمكن معه استبدال لفظ بآخر .

والشواهد على ذلك كثيرة جدا في كتاب الله المعجز، ويبقى السؤال الذي لابد منه: ما السر في هذا العدول القرآني العجيب، وما دلالاته، وإيحاءاته ؟ لابد من وجود أسرار بيانية وراء كل ذلك، يقول الخطيب الإسكافي: " إذا أورد الحكيم ـ تقدست أسماؤه ـ آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غَيَّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى ـ فلابد من حكمة هناك تُطْلَب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم ."(١)

بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء

ينقسم الاسم إلى جامدٍ ومشتق، فأما الاسم الجامد فهو نوعان : اسم ذات واسم معنى، أما اسم الذات فهو ما كان شخصًا يدركه البصر كرجل وفرس ونحوهما من المرئيات، وقد يكون علَمًا أو اسمَ جنسٍ، وأما اسم المعنى فهو المصدر كالعِلْم والقُدْرة مصدري عَلِمَ وَقَدِرَ وذلك مما يدرك بالعقل دون حاسة البصر . والمشتق كاسم الفاعل واسم المفعول قد يكون وصفًا لاسم الذات كراكب وجالس أو وصفًا لاسم المعنى كمفهومٍ ومضمَر . (٢)

وفقًا نلوع الاسم المعدول إليه كما مرّ آنفًا فإن أنواع العدول المعجمي بين الأسماء ثلاثة :

- **العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .**
- **العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى .**
- **العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق .**

وفي هذا البحث يكون الحديث منصبًا على النوع الأول، والله الموفق والمعين .

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .

سوف يتناول الباحث في هذه الدراسة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات؛ ليوضِّح ما يمتاز به هذا النوع العدولي من الناحية البلاغية، وأنه عدول فنيٌّ مقصود يجمع بين الحسنيين : الدلالات المعنوية والجماليات الإيقاعية .

---

(١) ـ درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي ـ دراسة وتحقيق وتعليق : محمد مصطفى آيدين ـ رسالة دكتوراه ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى ـ السعودية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م . (٢/ ١٥٧)

٢ ـ ينظر : شرح المفصل لابن يعيش، ط: المكتبة التوفيقية، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، (دت) (١/٥٥ـ ٥٦)

والمقصود باسم الذات كما سبق ذكره ما كان شخصًا يدركه البصر كرجل وفرس ونحوهما من المرئيات، وقد يكون علَمًا أو اسمَ جنسٍ، وعلى هذا الأساس ستُقَسَّم دراسة هذا الموضوع إلى المبحثين التاليين :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى العَلَم .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الجنس .

والجدير بالذكر أن أبرز الأغراض البلاغية للعدول إلى اسم الذات، على النحو التالي :

أولا: الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، والتخصيص والتعميم، والإعلام، والتعريض، والمبالغة والتشنيع، والتعليل، والامتنان، والمدح، والاهتمام.

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل، وائتلاف اللفظ والمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى العَلَم .

أوضح الباحث فيما سبق أن العدول المعجمي إلى اسم الذات منه العدول إلى العَلَم، وسوف يدرس في هذا المبحث الشواهد القرآنية الخاصة به، لبيان بلاغته وإيضاح مقاصده، ونظرًا إلى أن الألفاظ المعدول منها قد تكون أسماء ذوات وقد تكون مشتقات، يتطلب تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى العَلَم .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى العَلَم .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى العَلَم .

المقصود بالعلم: الاسم الذي يعين مسماه مطلقا أي بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة [١] وذلك مثل: محمد وزيد، وقد جاء العلم المعدول إليه في الذكر الحكيم إما اسمًا لله، أو أحد كتبه المنزلة، أو يوم القيامة أو اسمًا لدار الجزاء .

وسنعرض فيما يلي ذلك النوع العدولي؛ لمعرفة خصائصه البلاغية على وجه التفصيل، والله الموفق .

(١) شرح ابن عقيل، لألفية ابن مالك (١١٨/١)

١. [الرب ـ الله]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ البقرة: ٤ ــ ٧

في الآيات الكريمة عدول معجمي من(ربهم) اسم ذات [و] فَعْل، إلى الاسم الجليل(الله) عَلَم على الذات الإلهية، وذلك في سياق ذكر صفات المؤمنين وأنهم أهل الفلاح في الدنيا والآخرة، وبيان إصرار المشركين على كفرهم لأن الله ـ بحكمته وعدله ـ قد ختم على قلوبهم فلا يدخل إليها الإيمان وعلى سمعهم فلا ينتفعون بآيات الوعد والوعيد وعلى أبصارهم غشاوة عن رؤية دلائل التوحيد وعلامات النبوة .

وللعدول إلى الاسم الجليل(الله) أغراض بلاغية منها :

الأول : الإيذان بعظم الجناية والتشنيع، فالآية الأخيرة في ذم الكافرين وبيان عقوبتهم بالختم على قلوبهم وأسماعهم وعدم انتفاعهم بما يرون من الآيات، فاختير لفظ(الله) تهويلا للأمر وإيذانا بعظم جنايتهم بأن أصروا على كفرهم وأعرضوا عما جاءهم من الهدى فكان ذلك سببا للختم والغشاوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [الصف: ٥]

الثاني : التنبيه إلى علة الحكم، فمناسبة العدول إلى الاسم الجليل هي أن الكلام لما كان مقصودا به ذم الكافرين لإنكارهم ألوهية الله ناسب أن يسند الختم والغشاوة إلى(الله)؛ تنبيها إلى أن سبب ما حل بهم من العقوبات إنما هو عدم اعترافهم بألوهيته، وذلك علم بالنظر إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة(الله) في أحد الوجوه، فقد قيل : إن أصله(الإله) فعال بمعنى مفعول، أي : إله بمعنى مألوه أي معبود،[١] فالكافرون لا يعبدون ربهم ولا يوحدوه توحيد الألوهية، وهم يقرُّون بتوحيد الربوبية، لكن ذلك لا ينفعهم ما لم يعبدوه ويوحدوه .

الثالث : تأكيد النسبة والإشارة إلى كون الختم من الله لا من غيره، قال القرطبي :" الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى : " بل طبع الله عليها بكفرهم " [النساء : ١٥٥] . وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملائكة والمؤمنين ممتنع ." [٢] فالمقام في ذكر العذاب العظيم الذي يستحقه أهل الكفر، فناسب أن يؤتى باسم الله العظيم الذي لا يشاركه فيه غيره .

الرابع : التأكيد على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأنه لا يرجَى إيمانهم، قال الطاهر : " وإسناد الختم المستعمل مجازاً إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله كما يقال خِلقةٌ في فلان." [٣]

---

(١) ينظر ـ على سبيل المثال : مفاتيح الغيب للرازي (١٤٤/١)

(٢) ـ تفسير القرطبي (١/ ١٨٧)

(٣) ـ التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٢٥٧)

الخامس : التحقير لأهل الكفر، وذلك بعدم إضافتهم للاسم الجليل؛ إبعادا لهم عن ساحة الرحمة والتكريم، وهذا على النقيض من المؤمنين الذين أضيفوا إلى الرب الكريم تشريفا وتكريما، فالعدول أبان المفارقة بين القبيلين، وبالضد تتميز الأشياء .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(ربي) إلى(الله) وذلك في سياق ذكر حال أهل قريش، حيث كانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعادا لوقوعها، وتكذيبا بوجودها .

والعدول المعجمي من(ربي) إلى(الله) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التعظيم لأهوال يوم القيامة، [1] فإن السؤال الأول قد كان عن زمان وقوعها، والثاني بعد ذكر شدّتها وعظم أهوالها فقد ثقلت في السموات والأرض، ولا تأتي إلا بغتةً وذلك أفظع ما يكون، فناسب جدًا العدول إلى الاسم العظيم(الله) ترهيبًا من مخالفته وتحذيرًا من عقوبته، فيوم القيامة يوم عظيمٌ شأنه، وقريش تكذِبُ به، فجاءهم بالاسم الذي يعرفونه؛ تنبيهًا على أنه بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

الثاني : قطع أطماع الكافرين في معرفة زمان وقوعِها، قال البقاعي :" ولما كانوا قد ألحفوا في سؤاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، وكانت صفة الربوبية المذكورة في الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعاً في تعرفها من المحسن إليه، قطع الأطماع بقوله مؤكداً للمعنى: {يسئلونك} أي عن الساعة مطلقاً في وقت وقوعها وما يحصل من أمورها ويحدث من شدائدها ... {إنما علمها عند الله} أي :الذي له جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطاع علم شيء مما عنده إلا بإذنه، ولم يأذن في علمها لأحد من الخلق ." (٢)

قال أبو السعود في التوجيه البلاغي لاختيار لفظ(ربي) أوَّلًا :" والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للإيذان بأن توفيقه صلى الله عليه وسلم للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد" (٣)

٢. [الله ـ السلام]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يونس: ٢٤ــ٢٥]

(١) ـ ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٤٢٥)

(٢) ـ نظم الدرر، للبقاعي (١٨٧/٨)

(٣) ـ تفسير أبي السعود (٣٠١/٣)

في الآية الكريمة عدول معجمي بين عَلَمين من اسم الجلالة (الله) إلى (السلام)، وذلك في سياق بيان حقيقة الدنيا وأنها إلى فناء واضمحلال وأن الله يدعو إلى جنته وهو المتكفل بهداية الخلق إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم .

و(اللهُ) عَلَم على الذات الإلهية، و(السلام) في الأصل اسم مصدر[و] الفَعَال، وهو من أسماء الله الحسنى على الوصف بالمصدر للمبالغة . (١)

والعدول المعجمي اسم الجلالة (الله) إلى (السلام) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم للجنة وتشريفها، وصرَّح بذلك أبو حيان حيث قال: " يجوز أن يكون تعالى أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف كما قيل: بيت الله، وناقة الله ." (٢)**، ومعنى السلام: " السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله ."** (٣) **وحسنت الإضافة هنا إلى السلام الذي له الكمال المطلق فكما أنه ليس كمثله شيء فجنته التي أعدها بيده للمتقين ليس كمثلها جنَّةٌ "وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه "**(٤)**.**

الثاني: الإشارة إلى أن الجنة هي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه والله الذي سلَّمها وسلَّم أهلها والرب ـ تعالى ـ يسلم عليهم من فوقهم وتحيتهم فيها سلام، وفي ذلك ترغيب في العمل من أجلها وترك الدنيا وزينتها الفانية، قال ابن كثير: " لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة عطبها وزوالها، رغب في الجنة ودعا إليها، وسماها دار السلام."(٥)

٣. [الآخرة ـ يوم القيامة]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة **النحل**: ١٢٢-١٢٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (الآخرة) إلى (يوم القيامة) وذلك في سياق مدح إبراهيم عليه السلام بشكره لربه وصلاح أمره واستقامته على شريعة ربه وإخلاصه في عبوديته وأن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع ملة إبراهيم عليه السلام وبيان أن تحريم العمل في يوم السبت أمر خاص باليهود، ولا علاقة له بشريعة إبراهيم أو بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الطاهر: " وقد ادخر الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يكون هو الوارث لأصول إبراهيم، فجعل لليهود والنصارى دينا مخالفا لملة إبراهيم، ونصب على ذلك شعارا وهو اليوم الذي يعرف به أصل ذلك الدين وتغيير ذلك اليوم عند بعثة المسيح- عليه السلام - إشارة إلى ذلك، لئلا يكون يوم السبت مسترسلا في بني إسرائيل، تنبيها على أنهم

---

(١) ـ ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم ص٢٤٤ .

(٢) ـ البحر المحيط (٦/ ٤٠)

(٣) ـ شرح أسماء الله الحسنى، للقحطاني ص ١٤٣

(٤) ـ تفسير السعدي ص ٣٦٢

(٥) ـ تفسير ابن كثير : (٢٦١/٤)

عرضة لنسخ دينهم بدين عيسى- عليه السلام- وإعدادا لهم لتلقي نسخ آخر بعد ذلك بدين آخر يكون شعاره يوما آخر غير السبت وغير الأحد. فهذا هو التفسير الذي به يظهر انتساق الآي بعضها مع بعض. " (١)

والعدول المعجمي من (الآخرة) اسم فاعل/عَلَم [و] الفَاعلة، إلى(القيامة) عَلَم [و] الفِعَالَة،والمراد منهما الدار التي أعدها الله للجزاء، له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم لهذا اليوم، تخويفًا من أهواله، فقد سميت النشأة الآخرة بالقيامة لأنها تكون في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين وتنصبُ لهم فيه أعمالهم ويجازون عليها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌ، فالقيامة من القيام والتاء فيه للمبالغة؛ تهويلًا، وقد تعدد لذلك أسمائها في القرآن الكريم، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة .

وقد ناسب ذكرها بهذا الاسم تهديدًا لليهود الذين يخالفون شريعة النبي محمد ﷺ ويزعمون اتباعهم لإبراهيم، إذ لو كانوا أتباعًا له في الحقيقة لاتبعوا محمدًا المتمسك بدين إبراهيم والسائر على هداه من التوحيد وإخلاص الدين لله .

والملاحظ أن هذه السورة مكية قد روعي فيها التركيز على التهويل من أحداث يوم القيامة وذلك ترهيبا لأهل مكة وتذكيرا بقوة الله المطلقة، وأن الله الذي يفعل ذلك قادر على إهلاكهم وإفنائهم في لمح البصر .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

هذا وقد ذكرت الآخرة في سياق ذكر فضائل إبراهيم عليه السلام وليس في ذلك تهويل فحسن اختيار هذا الاسم؛ ولمقارنته مع الدنيا وهي النشأة الأولى والآخرة هي النشأة الآخرة لتحسن المطابقة ويتم معنى التعميم لصلاحه وحسن جزائه في الدارين .

٤. [الكتاب ـ التوراة والإنجيل]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة المائدة:٦٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الكتاب) إلى (التوراة والإنجيل) وذلك في سياق تسلية النبي ﷺ وإعلامه بأن كثيرًا من أهل الكتاب لا يؤمنون بما جاء به بل يزيد عنادهم وطغيانهم ويتولون عنه وهم معرضون، فلا يحزنْ نفسَه ﷺ علي ذلك إذ لم يشأ الله أن يهديهم فقد طبع على قلوبهم فلا تنتفع بالنور الذيَ أنزل معه .

والعدول من (الكتاب) اسم ذات [و] الفِعَال إلى (التوراة والإنجيل) العَلَميْنِ له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم للكتابين الشريفين، بالتنصيص عليهما والإلماح إلى أنهما اشتملا على العلوم النافعة والبصائر الهادية، فالتوراة [و] فَوْعَلة قيل: أصلها مِنْ وَرَى الزَّنْدُ إذا ظَهَرَتْ نارُها (٢)، فتدلُّ على الهداية والعلم، والإنجيل [و] إِفْعِيل: قِيلَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ النَّجْل

(١) ـ التحرير والتنوير : (٣٢٥/١٤)

(٢) ـ لسان العرب، مادة (وري).

الَّذِي هُوَ الأَصل، يُقَالُ: هُوَ كَرِيمُ النَّجْل أَي الأَصل (١)، فيدلُّ هذا العلَم أنه كتابٌ موْصَلٌ لأنه من عند الله ﷻ واحتوى على العلم الأصيل، وهذا يدل على أن سائر الكتب الإلهية قد اشتملت على المعارف العظيمة الدالة على وحدانية الله ﷻ وصِدْقِ رُسله، وهذا أدْعَى إلى الاستقامة على هداها، وهذا يبين عظمة الإسلام الذي يقرُّ دين الأنبياء ويصدِّق كتبهم .

وعلى ما ذكر آنفًا يتبيَّن أن عناد الكثير من أهل الكتاب وإصرارهم على مخالفة الرسول ﷺ ناشئٌ عن خبث نفوسهم وانصرافهم عن تعاليم كتبهم المنزلة إليهم؛ إذ لو قرءوها بعناية لوجدوا وصف النبي ﷺ وصحابته الكرام وأنه سيأتي بالدين الخاتم وأنَّ عليهم اتباعَه والاستسلام لأوامره، لأنه يصدق النور الذي معهم ويدعوهم بدعوة سائر الأنبياء ألا وهي دعوة التوحيد .

قال أبو السعود: " وفي التعبير عن التوراة والإنجيلِ باسم الكتابِ إيماءٌ إلى ما بينهما وبين القرآنِ من المجانسة المقتضيةِ للاشتراك في الحقية والنزولِ من عنده تعالى مع ما فيه من الإيجاز ." (٢)

الثاني: الزيادة في الإيضاح، فلو قيل: " حتى تقيموه " بدلا من قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ . لأوهم عود الضمير إلى لفظ (شيء) وذلك غير مراد، فتنصيصًا على أن المراد إقامة تلك الكتب الكريمة بالعمل، ذكر لفظ (التوراة والإنجيل)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥. [آياتنا ـ قرآن]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [سورة يونس: ١٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آيات) إلى (قرآن) وذلك في سياق بيان تعنُّت المشركين وعنادهم ورغبتهم في تغيير هذا القرآن بغيره لاشتماله على آيات الوعيد وتسفيه أحلام مشركي العرب وذم معبوداتهم وفضحهم بأفعالهم المنكرة وعاداتهم المذمومة فهم لا يطيقون سماع ذلك لكفرهم وخبثهم .

والعدول المعجمي من (آيات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَعَلَات إلى (قرآن) عَلَم [و] فُعْلَان، له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى نوعٍ من قبائح المشركين وهو عدم اعتدادهم بالقرآن الكريم فلم يقولوا: ائت بآيات؛ إمعانًا في إظهار عدم تصديقهم أنه آياتٍ، وتسهيلًا للنبي ـ عليه السلام ـ أن يغيره أو يبدله، فلو قالوا (آيات) لأثبتوا أنها أعجوبة في نفسها وعلامة شاهدة على صدقه ومعجزة فيصدَّه هذا الوصف عما طلبوا فعدلوا عن ذلك وقالوا (بقرآن) أي: بمقروء غير هذا .

(١) ـ لسان العرب، مادة (نجل) .

(٢) ـ تفسير أبي السعود (١٧٧/٣)

قال الطاهر: " وسموا ما طلبوا الإتيان به قرآنا لأنه عوض عن المسمى بالقرآن، فإن القرآن علم على الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أي ائت بغير هذا مما تسميه قرآنا." (١)

الثاني: الإيذان برغبتهم في أن يغير القرآن كله لا بعض آياته، وهذا يدل على شدة كراهتهم لما أنزل الله وكفرهم بآياته كلها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [سورة محمد:٨–٩]

قال أبو السعود: " أشاروا بهذا إلى القرآنِ المشتملِ على تلك الآياتِ لا إلى نفسها فقط قصداً إلى إخراج الكلِّ من البين أي ائت بكتَاب آخرَ نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحسابِ والجزاءِ وما نكرهه من ذم آلهتِنا ومعايبِها والوعيدِ على عبادتها ." (٢)

وإنما سمى الله ـ عز وجل ـ كتابه آياتٍ، لأنه معجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون التعبير بها في أول الآية " تعجيبًا لطلبهم تبديلها " (٣)

٦. [نار ـ سعير]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نارًا) إلى (سعيرًا) وذلك في سياق التحذير من أكل أموال اليتامَى بالباطل، والإيذان بأن ذلك الفعل يوجب العقوبة الشديدة بالنار يوم القيامة .

والعدول المعجمي من (نار)اسم ذات [و] فَعْل إلى (سعير) اسم ذات/عَلَم [و] فَعِيل ـ له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التهويل من نار يوم القيامة؛ تنبيهًا على خطورة أكل أموال اليتامَى ظلمًا، فتنكير لفظ (نارًا، سعيرًا) للتهويل، وعُدِلَ إلى العلم المنقول؛ تصويرًا لشدَّة احتراقها وحرارة لهيبها، قال ابن عطية: " «والسعير»: الجمر المشتعل ." (٤)

الثاني: الإشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل، فكما كان آكلو أموال اليتامى يسعرون في ذلك ولا ينظرون إلى ضعفهم وعجزهم، فيلتهمون ما معهم من المال الذي ورثوه عن أبيهم، كان جزاؤهم النار المسعورة التي تفتك بهم فتكًا فلا تبقي ولا تذر،(٥) قال الراغب: " والسعير: المسعور. "(٦)، وهذا المعنى أكَّد الوجه السابق من التخويف

(١) ـ ينظر : التحرير والتنوير (١١٦/١١)

(٢) ـ تفسير أبي السعود (١٢٨/٤)

(٣) ـ التحرير والتنوير (١١٦/١١)

(٤) ـ تفسير ابن عطية (١٥/٢)

(٥) ـ أشار الإمام البقاعي إلى ما يوحيه لفظ (سعيرًا) من المعاني، ومما ذكره دلالته على أن هذه النار تسرع في الأذى فتوقع في العُسْر وغاية المشقة، وهو مبني على النظر إلى تقاليب الكلمة (سرع ـ عسر ـ سعر) .(نظم الدرر(٣٠٥/٥)

(٦) ـ تفسير الراغب (٣/ ١١١٧)

من النار والتحذير من ظلم اليتامى، "وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى."(١)

الثالث: التحذير من عذابين شديدين يتعرض لهما من يأكل أموال اليتامى ظلمًا، العذاب الدنيوي بمصائب الدنيا في أنفسهم وأموالهم وهو المشار إليه بقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، والعذاب الأخروي بنار جهنم المشار إليه بقوله ﷻ: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ والسين تؤذن بكونه عذابًا مستقبليًّا محَقَّقًا، والمغايرة بين اللفظين تشير إلى نوعين من العذاب كما ذكر الطاهر .(٢)

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المطلب الثاني

العدول المعجمي من المشتق إلى العلَم

سبق إيضاح أن العدول المعجمي قد يكون من اسم الذات إلى العلم، أما في هذا المطلب فسوف يعرض الباحث نماذج العدول المعجمي من المشتقات إلى الاسم العلم، والاشتقاق هو صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف(٣) ومن المشتقات المعدول منها في الذكر الحكيم : اسم الفاعل، واسم التفضيل .

٧. [قائم - الله]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الرعد:٣٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مَنْ هو قائم على كل نفسٍ) إلى (الله) وذلك في سياق بيان أن الله ﷻ هو الذي يتولَّى كل نفس ويدبِّرُ أمورها في جميع شئونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، وفي الآية تشنيع على أهل الكفر الذين جعلوا لله شركاء وصدوا عن سبيل الله وضلوا عن هداه .

والعدول المعجمي من (قائم) اسم فاعل [و] فَاعِل إلى (الله) الاسم العَلَم للذات الإلهية - له أغراض بلاغية منها:

(١) - تفسير الرازي (٥٠٦/٩)

(٢) - ينظر : التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٤)

(٣) - ينظر : المعجم الوسيط، مادة(شقق) .

الأول :زيادة التصريح بالحجة وأن المراد من الموصول السابق هو الله ﷻ لا غيرُه، وفي العدول تخطِئة لأهل الشرك في تشريك آلهتهم لله ﷻ في الإلهية [١]، فهم يعترفون بأنه الخالق الرازق ومع ذلك لا يقرُّون بوحدانيته ﷻ، ويعبدون ما لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، وقد ذكر اسم الجلالة (الله) لأن أصله: (الإله) أي: المعبود، قال الطاهر: " فكان أصل وضعه دالا على انفراده بالألوهية إذ لا إله غيره فلذلك صار علما عليه ." [٢]

الثاني : بطلان زعمهم بأن الله له شركاء؛ ولذلك طالبهم بتسميتهم .

٨. [الحسنى ـ الجنة]

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة يونس:٢٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الحسنى) إلى (الجنة) وذلك في سياق وعد المؤمنين المحسنين بالجنات العظيمة وخلودهم فيها .

والعدول المعجمي من (الحسنى) اسم تفضيل [و] الفُعْلَى إلى (الجنة) اسم ذات/عَلَم [و] الفَعْلَة ـ له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم؛ ترغيبًا في العمل من أجلها، فتسمية دار النعيم بأكثر من اسم دليل على عظمها وشرفها فقد سماها: الحسنى والجنة، وتعدد الأسامي يدل على أنَّ المُسَمَّى سامٍ، والإظهار في مقام الإضمار يوجبه السياق فلو قيل: أولئك أصحابها لأوهم بعود الضمير إلى (ذلة) لقرب لفظها، فأظهر وغاير اللفظ؛ قطعًا للوهم وتفخيمًا وتشريفًا .

الثاني: الإيذان بجمالها الأخَّاذ للقلوب، فالجنة في أصل معناها: " البستان كثير الشجر مختلف الأنواع "[٣] ملتف الأغصان بحيث تجن تلك الأشجار ما تحتها أي : تستره وذلك منظر بديع يدل على غاية الجمال وكمال القدرة، واشتقاق (الجنة) من الفعل (جنّ) بمعنى استتر [٤]، ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه، والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، فالتصريح بأن الدار التي أعدها الله لعباده المحسنين هي الجنة غرضه التنبيه على جمالها واشتمالها على ما يحصل به تمام السرور والبهجة واللذة .

الثالث: الإشارة إلى سلامة المؤمنين في الجنة من الحرِّ لأنهم في ظلٍّ ممدود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الإنسان:١٤]، وذلك مستفادٌ من كثافة أشجار الجنة والتفاف أغصانها .

الرابع: التنبيه على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة:١٧]، وهذا متناسب مع المعنى الاشتقاقي للجنة فالإخفاء والستر بمعنى متقارب .

(١) ـ ينظر : التحرير والتنوير (١٣/ ١٥١)

(٢) ـ التحرير والتنوير (١/ ١٦٣)

(٣) ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٩٤

(٤) ـ ينظر : المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣٣٨/١) وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٩٤

وكل الأوجه التي سبقت إنما المقصود منها الترغيب في الأعمال الصالحة التي تبلغ بصاحبها تلك المراتب العالية فالجنة مطلب كل مسلم وأمل كل تقيّ وعندما تذكر تسعد بها القلوب .

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

هذا ويراد بالحسنى - على أصح التفاسير -: الجنة التي أعدها الله لعباده المحسنين، [1]،وقد أوثر هذا الاسم هنا لأن الزيادة المذكورة في الآية هي: رؤية الله . عز وجل - وذلك أعظم ما في الجنة وأحسنه، ويؤيد هذا التفسير ما رواه مسلم عن صهيب الرومي – رضي الله عنه -؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} وقال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ».[2]

ولم يقل: " وللذين أحسنوا الجنة وزيادة " لأنَ لَفظ الجنة يدل على الستر والخفاء، وهنا مقام ظهور وجه الكريم - سبحانه - وانكشافه للمؤمنين كرامةً منه وفضلا، فاختير لفظ (الحسنى) تعظيمًا للجنة وتنبيهًا على أن النظر إلى وجه الكريم أحسن ما فيها وأن الحسن كل الحسن لمن تشرَّف برؤية الملك قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢–٢٣]

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الجنس

قد تناول المبحث الأول الحديث عن العدول المعجمي إلى العَلَم، وفي هذا المبحث سوف يكون الكلام عن بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الجنس، ويقصد باسم الجنس [3] : الاسم الذي لا يختص بواحدٍ دون آخر من أفراد جنسِه، نحو : رجل، وامرأة، وكتاب، وقلم، ([4]) وهو نوعان :

أ - اسم الجنس الجمعيّ، وهو ما تضمّن معنى الجمع ودلّ على الجنس، وله مفرد من لفظه ومعناه مُمَيَّز منه بالتاء أو ياء النسبة، نحو : ثَمَر ومفرده(ثمرة)، وعَرَب ومفرده(عربيّ) .

ب - اسم جنس إفرادي : وهو ما دلّ على الجنس لا على اثنين ولا على أكثر من اثنين، وإنما هو صالح للقليل والكثير، نحو : خلّ، وزيْت، ولَبَن .

---

(١) - ينظر : تفسير الطبري (٦٢/١٥)

(٢) - صحيح مسلم، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ،حديث رقم ٣٩٧

(٣) - ينظر: موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(٩٧/٢- ٩٨)

٤ - ينظر : شرح المفصل لابن يعيش، ط: المكتبة التوفيقية، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، (دت) (٥٥/١- ٥٦)

وبالنظر إلى الألفاظ المعدول منها ومعرفة نوعها صرفيًّا، سوف يكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالآتي :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس .
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الجنس .
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الجنس .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس

سيكون الحديث في هذا المطلب عن البلاغة الفنية للعدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس، واسم الذات ـ كما سبق ذكره ـ إما يكون علمًا، نحو : يوسف، أو اسمَ جنس، نحو : الناس، وعلى هذا فإن الكلام سينحصر في مسألتين :

الأولى: العدول المعجمي من العَلَم إلى اسم الجنس .
الثانية : العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الجنس .

وسنتناول تلك المسألتين بالتفصيل فيما يلي:

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات (العَلَم) إلى اسم الجنس :

٩. [الله ـ الرب]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(الله) عَلَم على الذات الإلهية إلى(ربهم) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق الامتنان على العباد بالخلق والإمداد، والتشنيع على الكافرين الذين يسوون به غيره .

والعدول المعجمي من(الله) إلى(ربهم) له أغراض بلاغية منها :

- زيادة التشنيع والتقبيح للكافرين، فمن معاني(رب) التربية والإحسان، فقد أحسن الله إلى الخلق جميعًا بأصول النعم وفروعها، والكافرون يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ولا يشكرون الذي أحسن إليهم بل يشركون به غيره، وذلك أعظم الفساد .

هذا والعدول بين اسم الجلالة(الله) و(الرب) كثير جدًّا في القرآن الكريم، ودراسة لطائف ذلك وأسراره البلاغية يحتاج إلى دراسة وافية تكشف عن مغزاه وفوائده .

١٠. [السلام ـ ربهم]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام:١٢٦ـ١٢٧]

في الآية الثانية عدول معجمي من (السلام) إلى (ربهم) وذلك في سياق التنبيه على عظمة الدين الإسلامي وأنه في منتهى الاستقامة والعدل والرحمة والوضوح، وأن

الذين ينتفعون بهذا الدين قد أعد الله لهم جنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فضلًا منه سبحانه .

والعدول من (السلام) اسم ذات/عَلَم [و] الفَعَال إلى (ربّ) اسم ذات [و] فَعْل ـ له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنويه بشرف المؤمنين وجليل قدرهم عند الله إذ أضافهم إلى نفسه، وفي ذلك إشارة بأنهم بمحل العناية من الله، والغرض من ذلك تنشيط المستمعين وحثهم على سلوك سبيلهم حتى ينالوا المراتب العالية .

الثاني: الإشارة إلى أن دخولهم الجنة محض تفضُّلٍ من الله، ولفظ (الرب) يؤذن بالإحسان إلى المذكورين وحسن توفيقه لهم إلى ما فيه سعادة الدارين فقد أحسن إليهم إذ خلقهم ورزقهم وهداهم ثم أدخلهم الجنة برحمته، روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: لَنْ يُدْخِلَ أحَداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالُوا: وَلَا أنْتَ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: وَلَا أنا، إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ مِنْهُ ورَحْمَةٍ ..." (١)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تنشيطًا للسامع وجذبًا للانتباه .

أما اختيار لفظ (السلام) في الآية فبيَّنه الطاهر قائلا: " (دار السلام) الجنة سميت دار السلام لأن السلامة الحق فيها، لأنها قرار أمن من كل مكروه للنفس، فتمحضت للنعيم الملائم، وقيل: السلام، اسم من أسماء الله تعالى، أي دار الله تعظيما لها كما يقال للكعبة: بيت الله . " (٢)

١١. [يوسف ـ فتاها]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ [سورة يوسف: ٢٩ـ٣٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يوسف) إلى (فتاها) وذلك في سياق أمر يوسف بالإعراض عما اتُّهِمَ به بعدما ثبتت براءته وأمرها بالتوبة إلى الله مما فعلت وشيوع أمرها في المدينة ولوم النسوة لها وتصريحهن بضلالها المبين .

والعدول المعجمي من (يوسف) اسم ذات/عَلَم على نبي الله ابن يعقوب ـ عليهما السلام ـ إلى (فَتَى) اسم ذات [و] فَعَل ـ له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة والإشباع في اللوم (٣)، فالفتى من الناس: الشاب ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا، فذكره ـ عليه السلام ـ بهذا العنوان المشعر بالمملوكية فيه إنكار شديد على امرأة العزيز وما تتصف به من المالكية التي تمنع أمثالها من الإقدام على ذلك الفعل الشنيع .

قال ابن عطية: " و«الفتى » الغلام، وعرفه في المملوك ـ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي » (٤)، ولكنه قد

---

(١) ـ صحيح البخاري ،كتاب : المرضى، باب : تمني المريض الموت ،حديث رقم (٥٦٧٣)

(٢) ـ التحرير والتنوير : (٦٤/٨)

(٣) ـ ينظر : تفسير أبي السعود (٤/ ٢٧٠)

(٤) ـ صحيح مسلم، باب : حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى،حديث رقم ٤١٧٧ .

يقال في غير المملوك، ومنه {إذ قال موسى لفتاه} [الكهف : ٦٠]وأصل «الفتى » في اللغة الشاب، ولكن لما كان جل الخدمة شباباً استعير لهم اسم الفتى ." (١)

الثاني: التخصيص بالإضافة، وذلك من أغراض العدول من لفظ إلى لفظ، وذلك نحو العدول من الاسم العلم (الله) إلى (رب) المضاف إلى الضمير، لما في الإضافة من التخصيص وينطوي تحت ذلك معانٍ يحدِّدُها السياق، فالإضافة هنا تبين توجيه إنكار النسوة على امرأة العزيز استغلال سلطتها عليه بملكيتها له وفيه إشعار ببيان عصمة يوسف إذ لا يجرؤ على ذلك إلا بأمرها ـ وحاشاه عليه السلام ـ، ولذلك أوثر التعبير عن امرأة العزيز بقوله " التي هو بيتها " في الآيات السابقة، قال أبو السعود: " إيرادُ الموصول لتقرير المراودةِ فإن كونَه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل: لواحدةٍ ما حملك على ما أنت عليه مما لا خيرَ فيه قالت قربُ الوساد وطولُ السواد ولإظهار كمالُ نزاهتِه عليه السلام فإن عدمَ ميلِه إليها مع دوام مشاهدتِه لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملَكتِها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة ." (٢)

الثالث: الإيذان بأنهن يعلمن الأسباب التي أوقعت امرأة العزيز في أسر الحب وتكرار المراودة، فقولهن: (فتاها) مشعرٌ بفتوته المنبئَة عن جمال الخَلق، وقولهن (عن نفسه) يؤذِن بجمال الخُلُق وتمام الأدب، فاجتمع فيه الكمال الإنساني، وذلك أعظم ما يدعو إلى المحبَّة ويأسر الفؤاد .

١٢. [إبليس ـ الشيطان]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الأعراف: ١١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٠ــ٢٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (إبليس) اسم ذات/عَلَم إلى (الشيطان) اسم ذات [و] فَيْعَال إن كان من (شطن) أو (فَعْلَان) إن كان من (شاطَ)، وذلك العدول في سياق بيان عداوة إبليس لآدم وذريته وأنه قد أبى أن يسجد لآدم عليه السلام ووسوس الشيطان له ولزوجه فأكلا من الشجرة التي نُهِيَا عنها .

والعدول المعجمي من (إبليس) إلى (الشيطان) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الذم والتحقير لإبليس؛ تنبيهًا على فساده وإغوائه، فالشيطان يطلق على المفسد ومثير الشر وهو فيعال من شطن بمعنى بعد لأنه أبعد عن رحمة الله وعن الجنة أو فعلان من شاط بمعنى هاج أو احترق أو بطل ووجه التسمية ظاهر. (٣)

(١) ـ تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٧)

(٢) ـ تفسير أبي السعود (٤/ ٢٦٥)

(٣) ـ ينظر : التحرير والتنوير للطاهر (٢٩٠/١)

الثاني: التحذير من إبليس، وإظهار عداوته فهو حريص على إبعاد الناس عن طاعة ربهم، وسياق الآيات يوضح ذلك فقد أراد إبعاد الأبوين: آدم وحواء من الجنة ووسوس لهما أن يأكلا من تلك الشجرة المنهي عنها فكان سببًا للهبوط منها إلى الأرض، ولفظ (الشيطان) لما فيه من معنى البعد والإبعاد ناسب ذكره في سياق تلك الآيات، قال الطاهر: " وهذا التفصيل لإلقاء الشيطان كيده انفردت به هذه الآية عن آية سورة البقرة لأن هذه خطاب شامل للمشركين وهم أخلياء عن العلم بذلك فناسب تفظيع أعمال الشيطان بمسمع منهم. " (١)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٣. [الكتاب /الفرقان ـ آيات الله]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣ــ٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الكتاب) اسم ذات[و] الفِعَال إلى (الفرقان) اسم ذات/عَلَم [و] الفُعْلَان، ومنه إلى (آيات) اسم ذات/جمع مذكر سالم [و] فَعَلات، وذلك في سياق الامتنان على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بتنزيل القرآن الكريم هداية لهم، وفي الآية الثانية وعيد للذين يكفرون بآياته بالعذاب الشديد يوم القيامة .

والعدول من (الكتاب) إلى (الفرقان) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنويه بالقرآن الكريم والإشارة إلى أنه يفرق بين الحق والباطل، قال الطاهر: " وفي وصفه بذلك تفضيل لهديه على هدي التوراة والإنجيل لأن التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدى، لما فيها من البرهان، وإزالة الشبهة." (٢) ففيه الشرع الحق المباين لجميع الملل الباطلة والأهواء المضلة والنحل الفاسدة، وذلك هو روح النصر على أعداء الله المرشد إلى الدعاء به ختام البقرة.(٣)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

والعدول إلى (آيات الله) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التعظيم للقرآن الكريم، بتعداد صفات كماله، فقد عدل عن الإضمار إلى التصريح بكونه آيات للدلالة على أنه معجزات وعلامات واضحات على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، كما أنه قد اشتمل على العجائب الباهرات من المعارف والحكم والقصص الهاديات مما تحار فيه إدراكه الفهوم، فهو البحر الثجاج والسراج الوهاج الهادي إلى أقوم منهاج .

الثاني : التعريض بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والدلالة على أن الكفر ببعض آياته موجب للوعيد الشديد، فكيف بمن كفر به جميعًا ؟ وهذا التعريض التهديدي مناسب لغرض السورة في إبطال عقائد أهل الكتاب المنحرفة، وقد قص القرآن الكريم طرفًا من أقاويلهم الزائفة، قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾[آل عمران: ٧٢]

---

(١) ـ التحرير والتنوير (٨ـ ب / ٥٧)

(٢) ـ التحرير والتنوير (٣/ ١٥٠)

(٣) ـ ينظر : نظم الدرر (٤/ ٢١١)

الثالث : التعميم، ليشمل القرآن، وسائر المعجزات، فإنكار دلائل الحق وعلامات النبوة لا يكون إلا عن طريق المعاندة والمكابرة من المشركين، فاستحقوا زيادة الوعيد بالعذاب الشديد والانتقام من ذي العزة والجبروت.

أما التعبير عن القرآن أولا باسم الجنس (الكتاب) ففيه إيذان بكمال تفوُّقه على بقية الأفراد في حيازة كمالاتِ الجنس كأنه هو الحقيقُ بأن يُطلَقَ عليه اسمُ الكتاب دون ما عداه [١]، وفيه دليل على احتوائه على أفضل العلوم وأشرفها، والفعل (كتب) يدل على الجمع كما في (الكتيبة) مجموعة الجنود .

المسألة الثانية :بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الجنس :

١٤. [الناس ـ العالمين]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (العالمين) اسم ذات/اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] الفَاعَلِين، وذلك في سياق ذكر قصة قتل داود ﷺ لجالوت الطاغية وأن الله تعالى قد امتنَّ على داود ﷺ بأن آتاه ملك بني إسرائيل والنبوة والعلم الواسع، وفي الآية بيان لفضل الله على عباده فلولاه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم، لغلبوا وأفسدوا في الأرض، أو لفسدت الأرض بشؤمهم. [٢]

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ تنبيهًا على أمرين:

أولاهما: سعة فضله تعالى فخيره يعم جميع الخلْقِ، فهو الذي خلق ورزق، وما بكم من نعمة فمن اللهِ، وهذا مناسب لسياق الآية التي مدارها على امتنان الله على عباده المؤمنين إذ نصرَهم على عدوِّهم (جالوت) وجنوده وتكريم داود ﷺ بالملك والحكمة والعلم وذكر في الآية رحمته بدفع الناس بعضهم ببعض لتستمر الحياة بالأمن والسلامة .

ثانيهما: أنَّ الفساد إذا عمَّ فلا يسلم منه أحدٌ، والحروب سببٌ لخراب العالم بانهدام العمران وإزهاق الأرواح وتعطّل سائر المصالح، فَدَفْع الفساد نعمة جليلة " يَنْعَم بها المؤمنون والمشركون، والأشرار والأبرار وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: (عَلَى الْعَالَمِينَ) فلم يقل على المؤمنين أو المتقين، بل عم الخير على الناس أجمعين للإشارة إلي ذلك المعنى الجليل."[٣]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) ـ ينظر : تفسير أبي السعود (٤/٢)

(٢) ـ ينظر : تفسير البيضاوي (١٥٢/١)

(٣) ـ ينظر : تفسير أبي زهرة (٩١٣/٢)

ثانيهما: مراعاة المناسبة الإيقاعية لمعظم فواصل السورة، إذ إن فواصلها تنتهي بالنون غالبًا، ولو قال: " ذو فضلٍ على الناس " لما ناسب أي فاصلة في السورة في الحرف الأخير .

وحسن اختيار لفظ (الناس) أولًا لإشعاره باضطراب أحوالهم وطيشهم الذي يوجب أن يدفعوا إلى ما فيه سلامتهم من نيران العداوة وويلات الحروب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٦–٩٧]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (العالمين) اسم ذات/اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] الفَاعَلِين وذلك في سياق الامتنان على العباد بالبيت الحرام وما فيه من آيات عظيمة كمقام إبراهيم عليه السلام وأن من دخله يأمن على نفسه وماله وقد أمر الله ﷻ نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة لإقامة الصلاة والحج والاعتمار والاعتكاف وغير ذلك من الشعائر الإسلامية .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) في الآية الأولى له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ إظهارًا لكمال النعمة بالهداية على جميع الخلائق من الإنس والجن، إذ البيت الحرام جعل لعبادة الله ﷻ وإن الثقلين جميعهم مأمورون بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، قال الطاهر: " وجعل هدى للعالمين كلهم: لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك." (١)

الثاني: الإشارة إلى مدح الناس الذين اتبعوا ملة إبراهيم عليه السلام واتخذوا البيت الحرام قبلة والمقام مصلى، فلفظ (العالمين) مُشْعِرٌ بالعلم، وذلك يشير إلى أن الهدى والبركات إنما تكون لذوي القلوب العامرة بمعرفة الله وتوحيده وتعظيم رسله .قال أبو زهرة: " إذا جاءت " عالَمون " بجمع المذكر العاقل، أريد بها العقلاء ممن خلق الله تعالى، وقد أيد ذلك القول بقول ابن عباس رضي الله عنهما: " العالَمون الجن والإنس " (٢)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:
أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا لتكرار .(٣)

---

(١) ـ التحرير والتنوير (٤/ ١٦)
(٢) ـ تفسير أبي زهرة (١/ ٥٨)
(٣) ـ ينظر : تفسير أبي زهرة (٣/ ١٣٢٢)

ثانيهما: مراعاة فواصل السورة، إذ غالبية فواصلها تنتهي بحرف النون، فالعالمين تحقق نوعًا من التناسب الصوتي بين الفواصل، ولم تأت (الناس) فاصلة لهذه الآية ولا للتي بعدها، لأنه لا توجد أي فاصلة تنتهي بحرف السين في السورة كلها .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) في الآية الثانية له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ إظهارًا لكمال غناه سبحانه عن جميع الخلق، وهم في أشد الحاجة إليه، إذ هو ﷻ المنعم بأصول النعم وفروعها، فكان الواجب على العباد أن يعبدوه ويأتمروا بأوامره: فيحجوا البيت الحرام ويقيموا فيه شعائر الله؛ لينهلوا من معينه الصافي وبركاته العظيمة وهداياته النافعة .

فلم يقل ﷻ: " ومن كفر فإن الله غنيٌ عنه "؛ وقال (عن العالمين) تعميمًا وتحذيرًا مِنْ تَرْكِ الحج لِمَنْ قدر عليه، والتعبير المذكور في الآية مؤذن بشدة الغضب، قال أبو السعود: " وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحا إسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب ." (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية، وسبق ذكر ذلك فيما سبق .

١٥. [الناس ـ العباد]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٠٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (العباد) اسم ذات/اسم جنس/جمع تكسير[و] الفِعَال، وذلك في سياق مَدْح يؤثرون الله والدار الآخرة ويجاهدون بأنفسهم لنصرة دين الله والذود عن حياضه ابتغاء مرضات الله عز وجل كَصُهَيْبٍ الرومي وغيره (٢)، وقد وعدهم الله رأفتَه وهي أرق الرحمة بدخولهم جناته وأمنهم من عذابه .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العباد) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ تشريفًا وتعظيمًا (٣)، لجليل ما قاموا به من إخلاص الدين لله وبذل أغلى ما يملكون رغبةً في رضا ربهم قال أبو حيان: " إن لفظ: العباد، له في استعمال القرآن تشريف واختصاص، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] "(٤) .

---

(١) ـ تفسير أبي السعود (٦٢/٢)

(٢) ـ قال ابن جرير الطبري في تفسيره :" وأما ما رُوي من نزول الآية في أمر صُهيب، فإنّ ذلك غير مستنكرٍ، إذ كان غيرَ مدفوع جوازُ نزول آية من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بسبب من الأسباب، والمعنيُّ بها كلُّ من شمله ظاهرها." (٢٥٠/٤)

(٣) ـ الدر المصون للحلبي (٣٥٨/٢)

(٤) ـ تفسير أبي حيان (٣٣٧/٢)

وفي العدول تعظيم؛ لأنه تعالى ذكر لهم أكثر من وصفٍ نبيلٍ، فلفظ (الناس) فيه إشارة إلى كمال الإنسانية وقوله: (ابتغاء مرضات الله) يدل على إخلاصهم، وجاء لفظ العباد: دلالة على التزامهم بالعبودية وموجبات التقوى .

الثاني: العموم؛ إشارة إلى أن رحمته تعالى وسعت كل شيء الإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كُلّ ذلك داخل في كونِهِ عبْدًا للهِ طوعًا أو كَرْهًا، ووجَّه البقاعي القول بالتعميم أن الله ـ جلت حكمته ـ " أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم به أو تقصيرهم في أمره، وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل والرسل والشرائع الكتب الحافظة لها " (١)

وقال الطاهر: " والظاهر أن التعريف في قوله (العباد) تعريف استغراق، لأن الله رؤوف بجميع عباده وهم متفاوتون فيها فمنهم من تناله رأفة الله في الدنيا وفي الآخرة على تفاوت فيهما يقتضيه علم الله وحكمته، ومنهم من تناله رأفة الله في الدنيا دون الآخرة وهم المشركون والكافرون فإن من رأفته بهم أنه أعطاهم العافية والرزق، ويجوز أن يكون التعريف تعريف العهد أي بالعباد الذين من هذا القبيل أي قبيل الذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله." (٢)

الثالث: الإشارة إلى أن عبودية الله سببٌ عظيم في نيل رحمته الخاصة بعباده المؤمنين، قال ابن عطية: " قوله تعالى: وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ترجية تقتضي الحض على امتثال ما وقع به المدح في الآية." (٣)

الرابع: استقلال الجملة، لأنها وقعت تذييلًا، ولا بد أن يكون كلامًا مستقلا (٤)، فلم يقل: والله رءوف بهم .

قال الرازي: " فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته جوز لهم كلمة الكفر إبقاء على النفس، ومن رأفته أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ومن رأفته ورحمته أن المصر على الكفر مائة سنة إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العقاب وأعطاه الثواب الدائم، ومن رأفته أن النفس له والمال، ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة وإحسانا."(٥)

الخامس: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: مراعاة المناسبة الإيقاعية لبعض فواصل السورة، قال أبو حيان: "، لأن قبله: والله لا يحب الفساد، فحسبه جهنم ولبئس المهاد فناسب: والله رؤف بالعباد." (٦) فالفواصل: (الفساد، المهاد، العباد) بينها مناسبة إيقاعية قائمة على الاتفاق في البنية المقطعية والحرف الأخير (الدال)، وبنيتها المقطعية دون (أل) هي (ص ح ـ ص ح ح ص) (٧)وذلك في حالة الوقف .

---

(١) ـ ينظر : نظم الدرر (١٧٨/٣)

(٢) ـ التحرير والتنوير (٢٧٣/٢)

(٣) ـ تفسير ابن عطية (٢٨٢/١)وتفسير الثعالبي (٤٢٨/١)

(٤) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٢٧٤/٢)

(٥) ـ مفاتيح الغيب (٣٥١/٥)

(٦) ـ تفسير أبي حيان (٣٣٧/٢)

(٧) ـ (ص) : رمز للصوت الصامت، و(ح) : رمز للحركة .

ثالثها: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ (عباد) لما فيه من الفتحة الطويلة يدل على الرفعة والشرف، لذلك اختص بمواطن التعظيم في الاستعمال القرآني كما ذُكِرَ آنفًا، قال الطاهر في ذلك: " فهذا النوع من النظر يُسلك به سُبل العجائب في ميزة فصاحة القرآن على الطريقة العربية ." (١)

١٦. [بعولة - الرجال - زوج]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٠]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (بعولة) اسم ذات/جمع تكسير [و] فُعُولَة والمفرد (بَعْل) إلى (الرجال) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفِعَال، ومنه إلى (زوج) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق ذكر أحكام الطلاق وعدة المطلقات وأنها ثلاثة قروء أي حيضات(٢) أو أطهار(٣)، وأنه لا يحل للحامل كتمان ما في بطنها وأن للرجل إن طلق طلاقًا طلاقًا رجعيا أن يعود لزوجته لأنها ما زالت في عصمته إن ندم على المفارقة ورغب في لم الشمل مرةً أخرى، وفي الآية الثانية بيان أنها لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحًا حقيقيًا .

والعدول المعجمي من (بعولتهن) إلى (للرجال) له أغراض بلاغية منها: التنبيه على أن تفضيل الرجال بما أودعه الله فيهم من القوى النفسية والبدنية والعقلية، فعدل إلى لفظ الرجال لعمومه ودلالته على القوة، قال الرازي: " يقال: رجل بين الرجلة، أي القوة، وهو أرجل الرجلين أي أقواهما، وفرس رجيل قوي على المشي، والرجل معروف لقوته على المشي، وارتجل الكلام أي قوي عليه من غير حاجة فيه إلى فكرة وروية، وترجل النهار قوي ضياؤه ." (٤) أما لفظ البعولة فأصل معناه: السيد والمالك فلو قيل هنا: وللبعولة عليهن درجة لظنَّ أن تلك الدرجة هي مِلْكُهم لهنَّ وسيادتهم عليهن فحَسْب .

ولما جعل الله للرجال من الدرجة عليهن في الاقتدار كانوا مندوبين إلى أن يوفوا من حقوقهن أكثر (٥)، وذكر ذلك؛ هزًا لنفوس الرجال إلى الإحسان إلى أزواجهم اللاتي هن عوان عندهم، وفيه تهديد للذين يقدمون على مضارتهن وإيذائهن، وذلك لأن العرب كانوا يحرمون النساء من حقوقهن فجاء الإسلام بتشريعه العادل فأرسى دعائم الرحمة

(١) - التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٤)
(٢) - ينظر : تفسير أبي السعود (٢٢٥/١)
(٣) - ينظر : نظم الدرر (٢٩٧/٣)
(٤) تفسير الرازي (٤٤١/٦)
(٥) - ينظر : تفسير الرازي (٤٤١/٦)

وحفظ مكانة المرأة وجعل لها حقوقًا يجب على الرجل أن يقوم بها وإن قصَّر في ذلك عرَّض نفسَه للعقوبة، كل ذلك يدل على أهمية مراعاة الحقوق بين الزوجين ووجوب الالتزام بها حتى تأمن الأسرة من التفكك والضياع .

والعدول إلى (زوجًا) له أغراض بلاغية منها: إظهار عدال الإسلام في تشريعاته وتسويته بين المرأة والرجل في كونهما شريكين يجمعهما ميثاق الزوجية، ويؤيد هذا المعنى المثلية في جنس الحقوق التي على كل فرد منهما تجاه الآخر في قوله تعالى: " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف " ولفظ الزوج مشعر بالتشابه والتجانس في العلاقات الأسرية القائمة على المودة والرحمة وتبادل الأدوار، قال الطاهر: " لما ارتقى نظام العائلة من عهد إبراهيم عليه السلام فما بعده من الشرائع، أخذ معنى الملك في الزوجية يضعف، فأطلق العرب لفظ الزوج على كل من الرجل والمرأة، اللذين بينهما عصمة نكاح، وهو إطلاق عادل لأن الزوج هو الذي يثني الفرد، فصارا سواء في الاسم، وقد عبر القرآن بهذا الاسم في أغلب المواضع ." [١]

وفي لفظ (الزوج) بهذا الإلماح الدقيق في أنه يقوم على الألفة والمودة والرحمة، تنبيهٌ على أن هذا النكاح لا يصح إلا على نيَّة التأبيد، وأنه نكاح شرعي قائم على المقاصد الإسلامية التي تأمر بالفضيلة وتحفظ كيان الأسرة، فهذه الألفة إنما تتحقق في حسن المعاشرة وطولها، وفي ذلك إشارة إلى إبطال التحليل؛ لأنه يتنافى مع المقاصد الشرعية قال ابن تيمية في إقامة الدليل على إبطال التحليل: " وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ قَوْلَهُ: {حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} ، يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ نِكَاحٌ حَقِيقَةٌ مِنْ جِهَتِهَا لِزَوْجٍ هُوَ زَوْجٌ حَقِيقَةً ، فَإِذَا كَانَ مُحَلِّلًا لَمْ يَكُنْ زَوْجًا بَلْ تَيْسًا مُسْتَعَارًا ."[٢]

أما اختيار لفظ (بعولتهن) أوَّلًا فللتنصيص على أحقية الرجل في ردِّ زوجته المطلَّقة في العدة لأنها ما زالت في عصمته وفي مِلْكِه، وفيه تنبيه على أنه طلاق رجعِيٌّ .[٣] وهو ما أشار إليه لفظ البعولة الدال على السيادة والملك في أصل معناه، قال الطاهر: " سمي به الزوج لأنه ملك أمر عصمة زوجه، ولأن الزوج كان يعتبر مالكا للمرأة وسيدا لها، فكان حقيقا بهذا الاسم ." [٤]

وفي لفظ (البعولة) أيضًا ترغيبٌ للرجال في الرجوع إلى أزواجهم بتذكيرهم ما يكون بينهما من المباعلة والبعال والتبعُّل، قال ابن منظور: " وتَبَعَّلَت المرأَةُ أَطاعت بَعْلَها وتَبَعَّلَت له تزينتْ وامرأَة حَسَنَة التَّبَعُّل إِذا كانت مُطاوِعة لزوجها مُحِبَّة له ... والبَعْل والتَّبَعُّل حُسْن العِشْرة من الزوجين والبِعال حديث العَرُوسَيْن والتَّباعل والبِعال ملاعبة المرءِ أَهلَه وقيل البِعال النكاح ... والمُباعَلة المُباشَرة ." [٥]

١٧. [الرجال /النساء ـ الذكر/الأنثيين]،[نصيب ـ حظ]،[أولاد ـ أبناء]

---

(١) ـ التحرير والتنوير (٣٩٣/٢)

(٢) ـ بيان الدليل على بطلان التحليل، لابن تيمية ص ٤٦٨.

(٣) ـ ينظر : تفسير أبي السعود (٢٢٥/١)

(٤) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٣٩٣/٢)

(٥) ـ ينظر : لسان العرب، مادة (بعل)

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النساء: ٧]

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [سورة النساء: ١١]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (الرجال / النساء) إلى (الذكر / الأنثى)، وفيها عدول من (نصيب) إلى (حظ)، وفيها أيضا عدول من (أولاد) إلى (أبناء)، وذلك في سياق بيان أنصباء الورثة وأحقيتهم في الميراث .

ونوع الكلمات على الترتيب على النحو التالي :

(الرجال) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفِعَال .

(النساء) اسم ذات/لفظ جمع [و] فِعَال، وهو جمع (امرأة) من غير لفظها .

(الذَكَر) اسم ذات [و] الفَعَل .

(الأنثيين) اسم ذات/مثنَّى [و] الفُعْلَيْن .

(نَصيب) اسم ذات [و] فَعِيل .

(حَظّ) اسم ذات [و] فَعْل .

(أولاد) اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعَال .

(أبْنَاء) اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعَال .

أما العدول المعجمي من (الرجال / النساء) إلى (الذكر / الأنثى) فله اغراض بلاغية منها:

الأول: التنصيص على استحقاق الميراث للصغار والكبار على السواء من غير دخلٍ للبلوغ والكِبَر في ذلك أصلاً كما هو زعمُ أهلِ الجاهليةِ حيث كانوا لا يورِّثون الأطفالَ كالنساء [١]. وهذا تأكيد لعدالة الإسلام في تشريعاته إذ أعطى كل ذي حق حقه ولم يفرق بين كبير وصغير في أخذ الإرث، فلفظ (الذكر أو الأنثى) يدل على الجنس، فهو أعم فيشمل الصغير والكبير، وقد شاع ذكر الرجال والنساء لمن بلغ الحلم، قال في المعجم الاشتقاقي: " ... يكون اللفظ [أي: النسوة أو النساء] في أصله خاصا باللاتي بلغن المحيض والحمل، ولذا لا تطلق في العرف العام على الصغيرات قبل الحيض وهو صحيح، ثم تعمم في كل من شأن جنسهن ذلك (وقال نسوة في المدينة) [يوسف: ٣٠] . وبهذا المعنى جاء كل (نسوة)، و (نساء) في القرآن . " [٢]

الثاني: التنبيه على الضعف الجبلي للنساء؛ لأن لفظ (الأنثى) معناه المحوري يدور حول الضعف واللين والسهولة ومن ذلك قولهم: هذا سيف أنيث أي ضعيف لين غير

(١) ـ ينظر : تفسير أبي السعود (١٤٩/٢)

(٢) ـ المعجم الاشتقاقي المؤصَّل (٤/ ٢٢٤٦)

قاطع، وفي ذلك الوصف ترقيق لأفئدة الناس نحوهن حثا لهم على نصرتهن ومساعدتهن بقدر المستطاع،وخير ذلك عند الله إعطاؤهن نصيبهن غير منقوص، وهكذا تجد المعنى اللغوي قد تآزر مع السياق البلاغي للآيات الكريمة .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللغوية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة الخفة اللفظية، وهذا في العدول من (الأنثيين) إلى (نساءً) في قوله ﷻ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ فهذا القول الكريم أسهل مخرجًا وأندى لفظًا مما لو قيل: (للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن إناثا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) ففيه ثقل في اللفظ لقرب الثاء وتكرارها وهذا لا يتناسب مع فصاحة القرآن الكريم وعذوبته .

وأما العدول المعجمي من (نصيب) إلى (حظ) فلأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى وجوب إدخال السرور على الإناث بإعطائهن حقهن من الميراث كاملًا، فسمَّى نصيبهن حَظًا؛ تعظيمًا له [1]؛ حثًا على توفيته وتحذيرًا من البخس فيه، فالحظ: هو النصيب الذي من شأنه أنه يسعد صاحبه ويغنيه [2] " لهذا يذكر على جهة المدح فيقال لفلان حظ وهو محظوظ"[3] .

وحرمان الإناث من الميراث عادة جاهلية مذمومة سرَت إلى بعض المسلمين في تلك الآونة، وهذا دليل على رقة الديانةٍ وضعف الإيمان والاستهانة بحدود الله، فالله ﷻ قد خلق الذكر والأنثى وجعل لكلٍ منهن حقًا معلومًا في الميراث، والذي كان عليه العرب قبل الإسلام من ظلم النساء يتنافَى مع تعاليم الإسلام السمحة الآمرة بالعدل والإحسان والرفق بهن .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

وأما العدول المعجمي من (أولاد) إلى (أبناء) فله أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى حيثية نفع الأبناء للآباء؛ فلفظ (الأبناء) ورد في سياق ذكر النفع و [الابن] كلمة توحي بالتأليف والاتصال من قولك: بنيته وهو مبني وأصله بني وقيل بنو ولهذا جمع على أبناء فكان بين الأب والابن تأليف، فقوله: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي: لا تعلمون أيهم أقرب ألفة وقربا واتصالا ومودة .

الثاني: الإلماح إلى أن من حق الآباء على أبنائهم حسن العشرة والمعاملة الحسنة لأن اللفظ يوحي بأن الأبوين قد بنيا ابنهما ونشآه وأفنيا عمرهما في تربيته، فكان حريا بالأبناء أن يشكروهما على ذلك بحسن المعاملة وتقديم النفع والدعاء لهما قال تعالى: [وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا] . وجانب النفع أرجى من الابن الذكر أرجى من الأنثى عادة وإن كان من الإناث الصالحات من تكون أنفع لوالديها من كثير من الأبناء .

واختير لفظ الولد أولا؛ تنصيصا على أحقية الأولاد من ميراث الوالدين، " والولد يقتضي الولادة، أما الابن فهو يطلق على الولد حقيقة أو مجازا بالانتساب "[4]،

---

(١) ـ ينظر : المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٤٥٨)

(٢) ـ ينظر : نظم الدرر (٢٠٤/٥)

(٣) ـ معجم الفروق اللغوية ص ٥٤١

(٤) ـ ينظر : معجم الفروق اللغوية ص ١٣

وأمر الميراث متعلق بالأولاد الحقيقيين لا المنتسبين، والابن يطلق على الذكر، والولد يطلق على الذكر والأنثى فهو أعم، والذكور والإناث كل منهما له نصيب في التركة .

ولفظ الولد يوحي بأنه له أصل في ميراث أبيه وأمه ولو كان عاقا لهما، لأن هذا حكم الله، وقد رأينا كثيرا من الناس إذا أحس بدنو الأجل يقوم بتقسيم تركته ويحرم بعضا من أبنائه لأنه لم يكن محسنا في معاملته، وهذا لا يجوز شرعا، فأمر الميراث لا يتعلق بمثل هذه الأمور - وإن كنا نرى العقوق من أكبر الكبائر - وأن طاعة الوالدين مقدمة على كل شيء سوى التوحيد .

١٨. [قلب - صدر]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٠٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (قلب) اسم ذات [و] فَعْل إلى (صدر) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق التهديد للذين يكفرون بآيات الله ورسله ووعيدهم بالغضب الشديد والعذاب العظيم من الله بسبب كفرهم وفي الآية بيان أن المكره على الكفر ليس بكافرٍ لأن قلبه مشحون بالإيمان .

قال أبو زهرة: " كان في الموضوع حقيقتان لشخصين مختلفين؛ أولهما اطمأن قلبه بالإيمان بأن استقر فيه وارتضاه واطمأنت نفسه، فقلبه ممتلئ بالإيمان، والآخر لم يعمر قلبه وضاق عنه، وشرح صدره وفتحه للكفر، فالأول يعد مؤمنا، لم يغادر الإيمان قلبه، بل هو قار فيه، وثابت لا يتزلزل. " (١)

قال ابن كثير: " وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال الشعبي، وأبو مالك وقتادة." (٢)

والعدول المعجمي من (قلبه) إلى (صدرًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التسجيل على أهل قريش الذين كفروا بالله كفرًا ملأ قلوبهم حتى فاض على صدورهم فلم يبق فيه موضع لدخول الإيمان؛ لذلك وُعِدُوا بغضب الله واستحقوا العذاب العظيم الذي لا يعلم حقيقته إلا الله .

ولما كان كفرهم يدعوهم إلى موافقة الهوى وشهوات النفس وحمية الجاهلية والغضب على المؤمنين ومخالفة موجبات العلم والبعد عن الحكمة ناسب ذكر الصدر الأعم، قال الراغب: " قال بعض الحكماء: حيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) [ق/ ٣٧]، وحيثما ذكر الصَّدْرُ فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشّهوة والهوى والغضب ونحوها . " (٣)

الثاني: الإشارة إلى أن القلب في أصل خلقته ينزعُ إلى الفطرة الأولى التي خلق الله الناس عليها وهي توحيد الله، لكن الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لفرطِ

(١) - تفسير أبي زهرة (٨/ ٤٢٧٦)

(٢) - تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٥)

(٣) - المفردات للراغب، مادة (صدر)

عنادهم إنما يفتحون صدورهم فتحًا عظيمًا ليدخل الكفر إلى القلوب فيصرفها عما فطِرَت عليه من التوحيد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النمل:١٤] قال الراغب: " إذ ليس من شأن القلب ... أن يطمئن إلى الباطل ." (١)

الثالث: التنبيه على إسراع أهل قريش في التكذيب والعناد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ﴾ [سورة آل عمران:١٧٦] ولفظ (صدرًا) يدل على التقدم في الشيء من أوله، جاء في المعجم الاشتقاقي: " صَدْرُ كل شيء: أوله (مُقَدَّمُه ويأتي بعده سائره) ."(٢) وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٤١]، قال الطاهر: " [الأول] أصله السابق غيره في عمل يعمل أو شيء يذكر فالسبق والمبادرة من لوازم معنى الأولية لأنها بعض مدلول اللفظ ...والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كني به عن معنيين من ملزوماته، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي ." (٣)

أما إيثار لفظ (القلب) في مقام الإيمان والطمأنينة لأنه موضع العلم والحكمة، فإيمانهم على قدر علمهم بالله وأسمائه وصفاته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، والقلب: سمي هكذا لكثرة تقلبه (٤) فيكون ثباته بتوفيق من الله، وهكذا كان عمار بن ياسر ثابت الجنان راسخ الإيمان بتأييد الله وتوفيقه .

١٩. [قرية ـ المدينة]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الكهف:٧٧]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الكهف:٨٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (قرية) اسم ذات [و] فَعْلَة إلى (المدينة) اسم ذات [و] الفعِيلَة، وذلك في سياق قصة موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ وأنها قد ذهبا إلى قرية بها جدار أشرف على السقوط فأقامه الخضر لأن تحته كنز لطفلين يتيمين كان أبوها صالحا، وأهل هذه القرية من بخلهم الشديد لم يطعموهما ولم يستضيفوهما .

(١) ـ ينظر : المفردات للراغب، مادة (أمن) .
(٢) ـ المعجم الاشتقاقي (٣/ ١٢٠٥)
(٣) ـ التحرير والتنوير (١/٤٦٠)
(٤) ـ ينظر : المفردات للراغب، مادة (قلب) .

والعدول المعجمي من (قرية) إلى (المدينة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار نوعِ اعتدادٍ بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح [١] فالمعنى المحوري للمدينة: " المِصْر الجامع المحصَّن... وقد أطلقت المدينة في القرآن الكريم على العواصمِ ونحوها " [٢] فالمدُن قرًى عظيمة، وتلك القرية التي فيها الجدار سمَّاها الخضر مدينةً؛ إلماحًا إلى عظمتها لعظمة بعضِ مَن فيها: الرجل الصالح وولديه اليتيمين .

الثاني: الإشارة إلى علة البناء للجدار، وذلك من جهتين:

أولاهما: أن المدينة: المصر الجامع [٣]، فهي " أدل على الكبر المستلزم لبعد الأطراف وجمع الأخلاط. " [٤] فتكون نسبة ضياع الكنز أكبر لكثرة قاطنيها؛ ولا سيما وقد اشتهروا بالبخل والحرص فإذا وقع الجدار وظهر الكنز انقضُّوا عليه ولم يبقوا منه شيئًا .

ثانيهما: أن لفظ (المدينة) يشير " إلى أن الناس يقيمون فيها، فينهدم الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز ." [٥] وذلك مبني على أن المدينة فعيلة من (مَدَنَ) بالمَكانِ: أي: (أَقَامَ) بِهِ.[٦] فسميت هكذا لإقامة الناس فيها وعدم الارتحال عنها .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما اختيار لفظ (قرية) في الآية الأولى " لأنها مشتقة من معنى الجمع، فكان أليق بالذم في ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع وبمحبتهم للجمع والإمساك ."[٧]

٢٠. [سد - ردم]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الكهف: ٩٤ــ٩٥]

في الآيتين عدول معجمي من (سَدّ) اسم ذات [و] فَعْل إلى (رِدْم) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق قصة ذي القرنين مع القوم الذين مر بهم وأرادوا أن يكفيَهم شرَّ يأجوج ومأجوج فطلبوا منه أن يجعل سدًّا بينهم ووافقهم على ما أرادوا .

والعدول من (سَدًّا) إلى (رِدْمًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن ذا القرنين وجدَ السدَّ غير كافٍ فإذا سد عليهم المرور من بين الصدفين بجدارٍ فاصلٍ تحيلوا فتسلقوا الجبال ودخلوا البلاد فسلبوا ما فيها وأفسدوها، فأراد أن يبنيَ سورا ممتدا على الجبال في طول حدود البلاد حتى يتعذر عليهم تسلق تلك

(١)- ينظر : تفسير أبي السعود (٥/ ٢٣٨)

(٢) - المعجم الاشتقاقي المؤصل، مادة (مدن)

(٣) - المعجم الاشتقاقي المؤصل، مادة (مدن)

(٤) - ينظر : نظم الدرر (١٦/ ١٠٩).

(٥) - ينظر : نظم الدرر (١٢/ ١٢٢)

(٦) - ينظر : تاج العروس، مادة (مدن) .

(٧) - ينظر : نظم الدرر (١٢/١٢٢)،(١٦/ ١٠٣)

الجبال، ولذلك سماه ردما، ولعله بنى جدارين متباعدين وردم الفراغ الذي بينهما بالتراب المخلوط ليتعذر نقبه [١] .

قال الطاهر: " السد: الجدار الفاصل " [٢] "والردم: البناء المردم. شبه بالثوب المردم المؤتلف من رقاع فوق رقاع، أي سدا مضاعفا."[٣] فالردم أقوى من السد وأكبر[٤] فاختياره دليل على خبرة ذي القرنين وحكمته وقوة عُدَّته وعلمه بأحوال الأمم وكيفية التعامل معها .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٢١. [اليم ـ البحر]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ...وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٦ــ١٣٨]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (اليم) اسم ذات [و] الفَعْل إلى (البحر) اسم ذات [و] الفَعْل وذلك في سياق ذكر ما حل بفرعون من العذاب الدنيوي وإنجاء بني إسرائيل لإيمانهم وصبرهم .

والعدول المعجمي من (اليم) إلى (البحر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الامتنان على بني إسرائيل بإنجائهم من الغرق في هذا البحر الواسع، ولفظ البحر يدل على الاتساع العظيم فالنجاة منه نعمةٌ جليلة، قال الزبيدي في تاج العروس: " التَّبَحُّرُ والاستبحارُ: الانبساطُ والسَّعَةُ؛ وسُمِّيَ البحرُ بحْراً لذلك، (و) من المَجَاز: (تَبَحَّرَ) الرجلُ (في المال)، إذا اتَّسَعَ و (كَثُرَ مالُه) ."[٥] وهذا دليل على باهر القدرة الإلهية إذ فلق لهم البحر المتسع فصار كل فرق كالجبل العظيم الثابت المتطاول في السماء فالماء كان منبسطاً في أرض البحر، فلما انفرق وانكشفت فيه الطرق انضم بعضه إلى بعض وارتفع ارتفاعًا عظيما.

و(البحر) قد جاء في القرآن في مقام الامتنان بالنعم ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤]

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [سورة المائدة: ٩٦]

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٤]

---

(١) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٣٥/١٦)

(٢) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٣١/١٦)

(٣) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٣٥/١٦)

(٤) ـ ينظر : تفسير أبي زهرة (٤٥٨٨/٩)وأبي السعود (٢٤٥/٥) ونظم الدرر (١٣٦/١٢)

(٥) ـ تاج العروس، مادة (بحر) .

بينما (اليم) قد جاء في أكثر مواضعه في سياق إغراق فرعون وإهلاكه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة طه:٧٨]

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القصص:٤٠]

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الذاريات:٤٠]

أما إيثار لفظ اليم في مقام إهلاك فرعون فلتوضيح كيف تحول هذا البحر الذي حصلت فيه نجاة موسى ومن معه إلى يم عظيم ذي أمواج عالية يلتقم كل من يدخله، قال البقاعي عن اليم هو: " البحر الذي من شأنه أن يؤم " [(١)] أي إنه صار يتتبع سالكيه فرعون وجنوده فأهلك أولهم وآخرهم؛ وقطع دابرهم، لم يبق منهم أحداً، وهذا يدل على أن القرآن الكريم قد بلغ ذروة الكمال في دقة الوصف وتلائم المعنى .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر بن عاشور: " وَالْبَحْرُ هُوَ بَحْرُ الْقُلْزُمِ- الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ- وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْيَمِّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَالتَّعْرِيفُ لِلْعَهْدِ الْحُضُورِيِّ، أَيِ الْبَحْرَ الْمَذْكُورَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَعْرِفَةِ إِذَا أُعِيدَتْ مَعْرِفَةً، وَاخْتِلَافُ اللَّفْظِ تَفَنُّنٌ، وتجنبا لِلْإِعَادَةِ . " [(٢)]

٢٢. [ماء - الشراب]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف:٢٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ماء) اسم ذات/ اسم جنس إفرادي [و] فَعَل إلى (الشراب) اسم ذات/اسم جنس إفرادي [و] الفعَال، وذلك في سياق التهديد للكافرين الظالمين بالنار وأهوالها يوم القيامة جزاءً وفاقًا .

والعدول المعجمي من (ماء) إلى (الشراب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أنه يبلغون إلى حالة من العطش لا يدرك وصفها وأنهم يستغيثون لكيما يخفف عنهم من عذاب النار بالماء البارد على جلودهم التي احترقت ويطفئ حرارة العطش في بطونهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد:١٥]، وفي هذا بيانٌ لشدة هول العذاب وكمال فظاعته - أعاذنا الله منه .

فلو قيل بئس (الماء) لكان المعنى مقتصرًا على رغبتهم في تبريد جلودهم به، فلما قال (الشراب) أفاد ما ذُكِر من عطشهم .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) - نظم الدرر : (٣١٨/١٢)

(٢) - التحرير والتنوير، للطاهر (٨٠/٩)

ثانيهما: المناسبة الصوتية للمعنى، فسياق الآية الكريمة في عذاب أهل النار وبيان شدة حرارة مائها إذ هو كالمهل أي: دُرْدِيّ الزيت، و " التشبيه في سواد اللون وشدة الحرارة فلا يزيدهم إلا حرارة " [1] لذلك أعقبه بقوله " يشوى الوجوه "، واختير لفظ (يشوي) وعُدِل إلى (الشراب) وكلاهما به صوت الشين المتفشي الذين يصوّر المشهد المفزع وكأنه يسمعك صوت الشواء للجلود وصوت انصباب الحميم في الأفواه؛ كل هذا لينفِّر الناس من الكفر والظلم ببيان عظم العذاب وخطورته، والعربي القديم عرف الخصائص الصوتية لحرف الشين وإيحاءاته " كما قال الأعشى:

فقلت للشَّرْبِ في درني وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

فالشين ذات قيمة تصويتية stimmungswert وتقدر على نقل أصوات الشاربين، لا سيما أنها ترددت في البيت ست مرات ." [2]

٢٣. [أصنام ـ إله/آلهة]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أصنام) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعَال إلى (إله) اسم ذات [و] فِعَال، (آلهة) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعِلَة، وذلك في سياق ذكر قبائح اليهود إذ طلبوا من موسى ـ عليه السلام ـ أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه من دون الله، وفي هذا بيانُ غايةِ جَهْلِهِمْ وعِنادِهم، فإن اللهَ خَلَّصَهُمْ من عدوِّهم ونَجَّاهم من الغرقِ، وقالوا هذا القولَ حين رأوا هؤلاء القومَ يعبدون الأصنامَ.

والعدول المعجمي من (أصنام) إلى (إلها / آلهة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: ذم اليهود، وذلك من جهتين:

أولاهما: المبالغة في إثبات جهالتهم؛ فطلبهم من موسى أن يجعل لهم صنمًا كالقوم الذين مروا بهم يدل على تمكن الجهل في نفوسهم وتسميتهم الصنم إلهًا تأكيد لذلك المعنى،" فهم يحسبون أن اتخاذ الصنم يجدي صاحبه، كما لو كان إلهه معه، وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد وحنيفية إبراهيم ويعقوب التي وصى بها في قوله: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: ١٣٢] لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد." [3]

ثانيهما: أنهم يريدون عبادة هذه الأصنام لا لمجرد التبرك مثلًا، فكلمة (إله) فعال بمعنى مفعول أي: معبود، وهذا دليل على غباوتهم إذ يرون القبيح حسنًا ويريدون صرف العبادة إلى غير من يستحقها، فالله سبحانه هو المستحق للعبادة فقد نجاهم وأهلك عدوهم الذي كان يسومهم سوء العذاب وهذه نعم تستوجب الشكر ومزيد العبادة لله الذي لا نعمة إلا من عنده .

---

(١) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٣٠٨/١٥)

(٢) ـ ينظر : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، للدكتور / محمد العبد ص ١٨

(٣) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٩/ ٨١)

الثاني: التعريض بالمشركين من أهل مكة بأنهم قد سموا أصنامهم آلهة أيضًا فاستحقوا الوصف بالجهالة، وذم الأصنام وإثبات عدم أحقيتها بالعبادة من مقاصد القرآن المكي، فذكر قول اليهود وإظهار ميلهم إلى عبادة الأصنام فيه تذكير باشتراكهم مع المشركين في خسة العقل وإيثار التقليد المبني على محض الجهالة .

٢٤. [نصيب ـ كفل]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة النساء:٨٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نصيب) اسم ذات [و] فَعِيل إلى (كِفْل) اسم ذات [و] فِعْل، وذلك في سياق الإعلام بأن من سعى في أمر، فترتب عليه خير، أو دفع أذى عن مسلم كان له نصيب من الثواب العاجل والآجل، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته الفاسدة .

وللعدول المعجمي من (نَصِيب) إلى (كِفْل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ ترهيبًا من عقوبة الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق، وتقوية الباطل، وما غلظ هذا الزجر إلا للعلم بأن أكثر النفوس ميالة بأصحابها للشفاعة بالباطل.(١) فالكفل وإن كان بمعنى النصيب فإن استعماله في الشر أكثر(٢)، ولغلبة استعماله في الشر واستعمال (النصيب) في الخير غاير بينهما في الآية الكريمة، فأتى ب(النصيب) مع الحسنة . و(الكفل) مع السيئة وهو لفظٌ يوحي بالحِمْل والثقل(٣) .

وقال البقاعي: "، والنصيب قدر متميز من الشيء يخص من هو له، وكذا الكفل إلا أن الاستعمال يدل على أنه أعظم من النصيب، ويؤيده ما قالوا من أنه قد يراد به الضعف، فكأنه نصيب متكفل بما هو له من إسعاد وإبعاد " (٤)

الثاني: الإشارة إلى لطف الله بعبادِه؛ إذ لم يضاعف السيئات كالحسنات، فالسيئة لا يُجْزَى العبد إلا مثلها، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام:١٦٠]، فاستعمل (الكفل) لأن معناه: المِثْل المساوي قال الراغب: " لما كان النصيب يقال فيما يقل ويكثر، والكفل لا يقال إلا في المثل جاء في السيئة بلفظ الكفل تنبيهًا على معنى المماثلة ..." (٥)

وتفسير الكِفل بالمثل لا يعارض تفسيرَه بالضِّعْفِ، لأنه يستعمل بهذين المعنيين في لغة العرب، فبالنظر إلى السيئة واقتصارها على فاعلها يكون جزاؤها مماثلًا لها،

(١) ـ ينظر : نظم الدرر للبقاعي (٥/ ٣٤٩)

(٢) ـ ينظر : البحر المحيط (٧٢٣/٣)

(٣) ـ ينظر : الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم بين التأسيس والتأكيد، للباحث : حمدان بن لافي بن جابر العنزي ص ٣٦٦ ـ ٣٧٧

(٤) ـ نظم الدرر (٥/ ٣٤٨)

(٥) ـ تفسير الراغب (١٣٦٢/٣)

وبالنظر إلى تعدِّيها إلى غيرِ الفاعل يكون جزاؤها مضاعفًا بقدرِ مفسدتها المتعدية، وجاء في الحديث الشريف ما يؤكِّد ذلك قال رسول الله ﷺ: " «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1]

الثالث: التَفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قَال الألوسي: "قوله: (يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها) أي: نصيب من وزرها، وبذلك فسره السدي والربيع وابن زيد وكثير من أهل اللغة، فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة، وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن "[2]

٢٥. [سبيل ـ صراط]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١ــ١٥٣]

في الآية الأخيرة عدول معجمي من (صراط) اسم ذات [و] فِعَال إلى (السبل) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفُعُل،(سبيل) اسم ذات [و] فَعِيل، وذلك في سياق ذكر الوصايا الربانية التي من تمسك بها أفلح في الدارين ونال رضا الرحمن، وفي تلك الآيات العظيمة بيان عظمة التشريع الإسلامي؛ لارتكازه على الإصلاح الاجتماعي والتمسك بالأخلاق الفاضلة .

والعدول المعجمي من (صراطي) إلى (السبل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ ذمًّا لكل الطرق التي تجعل سالكها متفرقًا عن السبيل الحق وهو الإسلام، " والإخبار عنها بالتفرق دل على أن المراد سبل خاصة موصوفة بغير الاستقامة." [3] وقد ناسب هذا المعنى أنها جاءت مجموعة، ولفظ (صراطي، سبيله) بالإفراد، لأن طرق الباطل متعددة، من سار فيها هلك، وطريق الحق واحد من سلكه نجا وفاز بالخيرات العاجلة والآجلة، والإسلام قد سُمِّيَ (صراطًا)؛ لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها. [4]

الثاني: الإشارة إلى أن ما يؤدِّي إلى النار من البدع والضلالات قد يستسهله الناس لاتفاقه مع أهواء نفوسهم وبذلك يحصل الفساد، ولفظ (سبيل) يدل على أنه طريق

---

(١) ـ صحيح مسلم، حديث رقم (١٠١٧)

(٢) ـ تفسير الألوسي (٩٤/٣)

(٣) ـ التحرير والتنوير (١٧٣/٨أ)

(٤) ـ ينظر : تفسير الماوردي (١٨٨/٢)

يمتاز بسهولة السير فيه كما نقل الزبيدي عن الراغب [١] وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في قوله:) حفت النَّار بالشهوات) وَهِي: " كل مَا يُوَافق النَّفس ويلائمها وَتَدْعُو إِلَيْهِ "[٢] فيجب التنبه لذلك وكبح جماح النفس لئلا توقع صاحبها في المهالك .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وذلك على القول بالترادف بين السبيل والصراط، كما ألمح إليه الطاهر[٣].

ثانيهما: الخفة اللفظية في لفظ (السبل)، أما لو قيل: (الصُرُط) لثقل به الكلام، لذلك لم يستعمل (الصراط) في القرآن إلا مفردًا لخفته عن الجمع، بينما (السبيل) قد استعمل مفردًا ومجموعًا؛ [٤] لخفته في الحالين وترقيق حروفه .

والعدول إلى (سبيله) ولم يقل: (صراطه) والمراد به الإسلام، قد جاء لأغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على يسر الإسلام في جميع أحكامه، وذلك مبنيٌّ على أن السبيل: هو الطريق الذي يسهل سلوكه كما ذُكِرَ آنفًا، وفي ذلك حثٌّ على الالتزام بالوصايا الربانية المذكورة في الآيات وأنها تشتمل على كمال الرحمة وغاية اليسر .

الثاني: الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية تتسم بالوضوح التام، سواءً في العقائد أو الأحكام، وهذا البيان العالي لمنهج الله يجعل النفس المسلمة تعبد ربها على بصيرة ويقين، وهذا الوجه مبني على أن (السبيل) هو الطريق الواضح . [٥]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وقد تقدم ذكره .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الجنس

سبق الحديث عن بلاغة العدول من اسم الذات إلى اسم الجنس، بينما سيكون الكلام في هذا المطلب عن البلاغة العالية للعدول بين أسماء الأجناس في الذكر الحكيم.

ويلاحظ أن شواهد هذا النوع العدولي قليلة، انتقى منها الباحث شاهدين؛ لإيضاح الأغراض البلاغية المنوطة به .

٢٦. [جزاء - أجر]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [سورة آل عمران: ١٣٦]

(١) - ينظر: تاج العروس، مادة (سبل)

(٢) - التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرءوف المناوي (٤٩٨/١)

(٣) - ينظر : التحرير والتنوير ((٨-أ/١٧٣)

(٤) - ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي الصفحات (٤١٩، ٥٠٠ - ٥٠١)

(٥) - ينظر: تاج العروس، مادة (سبل)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جزاء) مصدر [و] فَعَال إلى (أجر) اسم ذات/اسم جنس [و] فَعْل وذلك إن كان المراد به الجنات وهي مما يدرك بالحواس [١]، وذلك في سياق وعْدِ المتقين ذوي الإحسان الذي يتوبون إلى الله ويستغفرونه بأنه ﷻ سوف يدخلهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار ويخلِّدُهم فيها جزاءً على أعمالهم الصالحة ونياتهم الخالصة .

والعدول المعجمي من (جزاؤهم) إلى (أجر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التنبيه والتأكيد على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل [٢]؛ ترغيبًا في الطاعات، وتنشيطًا عليهَا، فقدْ سمِّي الجزاء أجْرًا لذلك المعنى، ويراد بهذا الأجر: دخول الجنات ومغفرة الذنوب، وهو محض تفضُّلٍ من الله ﷻ فرحمته واسعة بعباده . قال أبو زهرة: (ذلك الجزاء جدير بأن يُرغب فيه، ويتنافس فيه المتنافسون، ويطلبه كل عارف لحقيقته لم تلهه الدنيا بما فيها، فذلك المدح للحث على طلبه والعمل على استحقاقه وعدم التخلف عن الاتجاه إليه)[٣]

الثاني: الإشارة إلى عظم الجزاء، فالأجر يستعمل ـ كما يقول الراغب ـ: " فيما يعطي الرفيع مَن دونَه " [٤]، والله سبحانه وتعالى ـ له العظمة المطلقة وثوابه لا يعدلُه أي ثواب، وهذا مناسب لموقف تفخيم الجزاء المذكور في صدر الآيات الكريمة بأن هذه الجنة عرضها السموات والأرض وهذا دليل على كبرها واتساعها وعظمها، والنصوص على ذلك كثيرة منها ما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»[٥] وهذه صفة لشجرة واحدة من أشجارها، فما أعظمَها من دارٍ أعدَّها الله لأحبابه المؤمنين وجعل لهم فيها ما به تلذ الأنفس وتقرَّ الأعين جزاءً بما كانوا يعملون .

الثالث: التنبيه على التفاوت بين مقام المتقين المحسنين وبين منزلة المتقين التائبين [٦]، فالعدول إلى لفظ آخر بمعناه يشير إلى المغايرة بين ثوابين: فالفريق الأول: جزاؤهم جنة عرضها السموات والأرض، والفريق الثاني: أجرهم مغفرة وجنات تجري من تحتها الأنهار، فالأجر والجزاء من الألفاظ المتقاربة في الدلالة، لكن تغاير الألفاظ في السياق الواحد دالٌ على تغاير المعاني .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

١) وإن كان المراد بالأجْر جملة ما ذُكِر من المغفرة والجنات فهو مصدر من الفِعْل أَجَر يأجُر ، ينظر : لسان العرب، مادة (أجر) .

(٢) ـ ينظر : الكشاف للزمخشري (٤١٧/١) وتفسير أبي السعود (٨٧/٢) وفتوح الغيب للطيبي (٢٦١/٤) والتحرير والتنوير للطاهر (٩٥/٤)

(٣) ـ تفسير أبي زهرة (١٤١٧/٣)

(٤) ـ ينظر : تفسير الراغب (٢١٤/١) حيث قال رحمه الله :" (والأجر والجزاء والثواب يتقارب، لكن الأكثر في الجزاء أن يستعمل في المعاملة بين الأكفاء أو فيما يجري مجراه بضرب من التلطف والأجر فيما يعطى الرفيع من دونه والثواب فيما يرجع إلى الإنسان من نفع عن فعله)

(٥) ـ صحيح البخاري، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم ٦٠٦٩

(٦) ـ ينظر : تفسير البيضاوي (٣٩/٢)

٢٧. [ذنوب ـ سيئات]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ذنوب) مصدر/جمع تكسير [و] فُعُول إلى (سيئات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَيْعِلَات، وذلك في سياق دعاء المؤمنين ربهم بمغفرة ذنوبهم جميعها وأن يختم لهم بخاتمة السعادة بأن يتوفاهم وهم أبرار سبَّاقون إلى الخيرات .

والعدول المعجمي من (ذنوبنا) إلى (سيئاتنا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى رغبة المؤمنين في تمام المغفرة ومحو أثر المعصية ولو صغرت، فالسيئات هي الصغائر [١] وتكفَّر بالطاعات واجتناب الكبائر .أما الذنوب فهي الكبائر لأنها يتبعُها العقاب إن لم تغفرْ، قال الراغب: "[الذنب] يستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعة، اعتبارا لما يحصل من عاقبته " [٢]

الثاني: التنبيه على استقباح المؤمنين لما بدَرَ منهم من صغائر الذنوب، فقد سمِّيت الصغائر: سيئاتٍ؛ لاشتقاقها من الإساءة[٣]، ولم يصرَّح بأنها صغائر لئلا يُستَهَان بها، فأوثر اللفظ الدال على القبح[٤]؛ تنفيرًا منها وتحذيرًا من ارتكابها .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الشوكاني: " قيل: المراد بالذنوب هنا: الكبائر، وبالسيئات: الصغائر. والظاهر: عدم اختصاص أحد اللفظين بأحد الأمرين، والآخر بالآخر، بل يكون المعنى في الذنوب والسيئات واحدا ." [٥]، وقد استحسن الطاهر الطاهر القول بأن السيئات قد جاءت تأكيدًا للذنوب [٦] .

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الجنس

في المطلبين السابقين تناول الباحث العدول من اسم الذات واسم المعنى إلى اسم الجنس، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن بلاغة العدول المعجمي من المشتقات إلى اسم الجنس، وذلك في ثلاثة مسائل، على النحو التالي :

---

(١) ـ ينظر : الكشاف للزمخشري (١/ ٤٥٥) ونظم الدرر (١٥٩/٥) وتفسير أبي السعود (١٣٢/٢)

(٢) ـ المفردات للراغب، مادة (ذنب)

(٣) ـ ينظر : تفسير المنار (٢٤٨/٤)

(٤) ـ ينظر : تفسير البيضاوي (٢/ ٥٥)

(٥) ـ تفسير الشوكاني (٤٧١/١)

(٦) ـ ينظر : تفسير الطاهر (٢٠٠/٤)

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الجنس
المسألة الثانية : بلاغة العدول المعجمي من اسمٍ بمعنى اسم المفعول إلى اسم الجنس .
المسألة الثالثة : بلاغة العدول المعجمي من اسم الآلة المشتق إلى اسم الجنس (اسم الآلة الجامد) .
وإليك تفصيل القول في هذه المسائل؛ ليتضح المغزى البلاغي للعدول في الشواهد المذكورة في هذا المطلب على المستويين : المعنوي واللفظي.

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الجنس :
٢٨. [المقتسمين ـ عضين]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٨٧-٩٣]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (المقتسمين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْتَعِلِين إلى (عضين) اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] فِعِين، وهو جمع (عِضَة) أي قِطعة أو جُزْء [(١)]، وذلك العدول ورد في سياق الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بإيتائه القرآن الكريم، ووعيد المشركين المكذبين الذين قذفوا القرآن بالباطل قائلين إنه شعر أو سحر .
والعدول المعجمي من (المقتسمين) إلى (عضين) له أغراض بلاغية منها:
الأول: التشنيع على أهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضٍ، والذم الشديد للمشركين القائلين أنه سحرٌ أو شعر أو أساطير الأولين، وما أشبه ذلك، بغرض النيل من القرآن والطعن فيه وإبطال حججه، قال أبو السعود: " والتعبيرُ عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريقُ الأعضاء من ذي الروح المستلزمُ لإزالة حياتِه وإبطالِ اسمِه دون مطلق التجزئةِ والتفريق اللذَيْن ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيضُ من المثليات للتنصيص على كمالِ قبحِ ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فِعلة من عضهتُه إذا بهتَّه وعن عكرمةَ العضه السحرُ بلسان قريشٍ فنقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء ." [(٢)] ففي التعبير بلفظ (عضين) تنبيه على كون القرآن الكريم قد بلغ الكمال في جميع آياته وأن الكفر بآية منه كفرٌ به جميعًا، فكله حق ويقين .
الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاث:
أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر: " واعلم أن معنى المقتسمين على الوجه المختار المقتسمون القرآن. وهذا هو معنى جعلوا القرآن عضين، فكان ثاني الوصفين بيانا لأولهما وإنما اختلفت العبارتان للتفنن. "[(٣)]

(١) ـ ينظر : لسان العرب، مادة (عضه، عضو) .
(٢) ـ تفسير أبي السعود (٩٢/٥)
(٣) ـ التحرير والتنوير (٨٧/١٤)

ثانيهما: مناسبة فواصل السورة، فقوله: (عضين) يناسب كثيرا من فواصل السورة من الناحية المقطعية والحرف الأخير نحو (المبين، اليقين ...) أما لو قيل (أقسامًا) لما وافق أية فاصلة فيها .

ثالثهما: المناسبة اللفظية للمعنى، وبيانه أن لفظ (عضين) من فرائد القرآن الغريبة ولم ترد إلا مرة واحدة،(١) وقد جاءت في موقف التشنيع على الذين يجعلون القرآن أقسامًا حسبما أرادوا فيقولون أنه سحر أو شعر، وتلك الأكاذيب التي ادعوْها أمر غريبٌ منهم إذ عرفوا أنه ليس فيه تمويه السحرة وطلاسمهم وليس هو على أوزان أشعارهم، فما قالوا ما قالوه إلا عنادًا ومكابرةً، فجاءت غرابة اللفظ أشد ملاءمةً لغرابة هذا التقسيم الباطل، قال الرافعي: " والعربُ يعرفون هذا الضربَ من الكلام، وله نظائرُ في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سبقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروف معنى حسياً، وفي تألف أصواتها معنى مثله في النفس." (٢)

والجدير بالذكر أن لفظ (عضين) يحتوي على الضاد المفخم فهذا يشير إلى أن الجور في هذا التقسيم لا مزيد عليه .

٢٩. [أصحاب الكهف ـ الفتية]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٩ــ١٠]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (أصحاب) اسم فاعل/جمع تكسير [و] أفْعَال، مفرده (صاحب) إلى (الفتية) اسم ذات/جمع تكسير [و] فِعْلَة، وذلك في سياق بيان قصتهم للذين يسألون عن عجائب ما فيها، وتذكيرهم أن قصة أهل الكهف وإن كانت عجيبة ففي آيات الله ما هو أعجب كخلق السموات والأرض، وفي ذلك لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبر، فأهل الكهف لإيمانهم بالله قد فروا من قومهم الكافرين إلى ذلك الشق المتسع في الجبل؛ حتى لا يفتنوا في دينهم في ذلك الوقت الذي شاع فيه الكفر وعم الضلال، فأكرمهم الله تعالى بأن ألقى عليهم نوما بقوا فيه مدة طويلة ثم أيقظهم فأراهم انقراض الذين كانوا يخافونهم على دينهم وبعد أن أيقنوا بذلك أعاد نومتهم الخارقة للعادة فأبقاهم أحياء إلى أمد يعلمه الله أو أماتهم وحفظ أجسادهم من البلى كرامة لهم.(٣)

والعدول المعجمي من (أصحاب الكهف) إلى (الفتية) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المدح والتعظيم، فالفتية: جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل، " وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: إذ أووا إلى الكهف. "(٤)

(١) ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٧٠

(٢) ـ إعجاز القرآن، للرافعي ص ١٥٨ .

(٣) ـ ينظر : التحرير والتنوير (١٥/٢٦٠ ـ ٢٦١)

(٤) ـ ينظر : التحرير والتنوير (١٥/٢٦٦)

الثاني: الإشارة إلى أنهم أتراب متقاربو السن، وذلك ما يدل عليه لفظ الفتية كما قال الطاهر [1] فالفتى: الشاب المكتمل، كما أن جمع القلة جيء به " لبيان أنهم شبان ليسوا بكثيري العدد " [2] وقد رجَّح ابن كثير أنهم سبعة وثامنهم كلبهم؛ اعتمادا على تضعيف القولين الأولين بقوله ـ عز شأنه: " رجما بالغيب " والسكوت على القول الثالث وإقراره وأيد ابن كثير ذلك بما ورد عن ابن عباس في أنه يعلم عددهم وأنهم سبعة .[3]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المسألة الثانية : بلاغة العدول المعجمي من اسمٍ بمعنى اسم المفعول إلى اسم الجنس :

٣٠. [رسل ـ عباد]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة إبراهيم: ١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رسل) جمع تكسير [و] فُعُل وهو جمع لرسول (فَعُول) بمعنى (مَفْعُول) إلى (عباد) اسم ذات/جمع تكسير [و] فِعَال، وذلك العدول في سياق احتجاج المرسلين على أقوامهم وتبيين أن المماثلة في البشرية لا توجب المساوة التامة في الصفات والفضائل والكمالات، وأن الله هو الذي اختصهم بالنبوة وآتاهم من البراهين النيرة والحجج القاطعة ما يدل على صدقهم وأنهم يفردون الله بالتوكل في كل شئونهم .

والعدول المعجمي من (رسلهم) إلى (عباده) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار تواضع المرسلين، واعترافهم بالعبودية لله تعالى، فلم يقولوا: " ولكن الله يمن على من يشاء من رسله " تبرئة لأنفسهم من أن يعتقدوا أن لهم فضلا على الناس إلا ما اختصهم الله تعالى به من النبوة، وفي ذلك استنزال لطائر نفورهم تذكيرا لهم بأنهم منهم فلا يريدون لهم إلا خيرا .

قال البقاعي: " لم يصرحوا بما تميزوا به من وصف النبوة، ولم يخصوا أنفسهم بمنّ الله بل أدرجوها في عموم من شاء الله، كل ذلك تواضعاً منهم واعترافاً بالعبودية ." [4]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

وهذا العدول في هذه السورة المكية يوضح لين الخطاب الإسلامي في دعوة المخالف ورفقه في المعاملة والمجادلة بالتي هي أحسن لإرساء معالم الدين القيم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثلة في الرفق ولين الخطاب؛ لاستمالة قلوب الناس إلى توحيد الله والاستسلام لأوامره، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]

المسألة الثالثة : العدول المعجمي من اسم الآلة المشتق إلى اسم الآلة الجامد :

٣١. [السقاية ـ صواع]

---

(١) ـ ينظر : التحرير والتنوير (٢٦٦/١٥)

(٢) ـ نظم الدرر (١٢/ ١٧)

(٣) ـ ينظر : تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٦ ـ ١٤٧)

(٤) ـ نظم الدرر للبقاعي (٣٩٥/١٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة يوسف: ٧٠–٧٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (السقاية) اسم آلة مشتق [و] الفِعَالة، إلى (صواع) اسم آلة جامد [و] فُعَال، وذلك العدول في سياق ذكر حيلة يوسف عليه السلام في استبقاء أخيه عنده حيث جعل السقاية ـ وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيلُ به الطعام ـ في رحل أخيه فلما انطلقوا ذاهبين، {أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} ولعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال، فأقبلوا لينفوا التهمة عن أنفسهم لكن استخرجت السقاية من رحل أخيه وكان الحكم أن يستبقيه عنده وتم ليوسف مراده بتدبير الله ومشيئته .

والعدول المعجمي من (السقاية) إلى (صواع الملك) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم والاهتمام؛ فلفظ الصواع يدل على أنه مستعمل في الكيل، وهم في أشد الحاجة إليه، ليكيلوا به، فكان ذكره تأكيدًا لقطع العذر في تركه، فلو قيل: سقاية الملك، لرُدَّ عليهم أنها سقاية ليست هي بالقيمة العظيمة التي تستدعِي ذلك التأذين واتهام الأبرياء، فالملك عنده من السقايات الكثير في العادة؛ فسَمَّوْها بالصواع؛ تفخيمًا لأمرها وإبرازًا لشدة الحاجة إليها وتلميحًا بعقوبة السارق إذ تعدَّى على خصوصيات الملك، والذي يؤكد ذلك ما وردَ في بعض التفاسير أن الصواع صيغَ من ذهبٍ أو فضة [1]، فهو ليس إناءً عاديًا لذلك جعلوا لمن جاء به حمل بعيرٍ ولا يكون ذلك إلا لنفاسته، وكان يوسف عليه السلام يستعملها في الكيل وفي الشراب؛ حِفاظًا على مال الدولة من الضياع والإسراف فهو القائل عن نفسه: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف:٥٥]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة اللفظية للمعنى، فالمقام يستدعي الغلظة في الخطاب لأن هذا المؤذن كان يظن أن هؤلاء القوم سارقون فاستعمل اللفظ القوي (صواع)، فالصاد صوت صفيري مفخم مطبق والواو والعين من الأصوات المجهورة فالكلمة تشعر بقوتها وشدة جرسها بما يتناسب مع شدة الموقف والتعنيف للمخاطبين.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

لقد كشفت دراستي للعدول المعجمي في القرآن الكريم العديد من الأسرار البلاغية للتحول الأسلوبي بين الكلمات متقاربة الدلالة، وبعد التنزُّه في رياض هذه الظاهرة الفريدة اجتنى الباحث بعضًا من ثمارِها اليانعة، ويمكن إجمال ذلك في الآتي :

(١) ـ ينظر : تفسير ابن جرير (١٧٢/١٦) و تفسير ابن كثير (٤٠٠/٤)

- **اهتم كثير من الباحثين بظاهرة العدول في القرآن الكريم، وكان اهتمامهم منصبًّا على العدول الضمائرى والصرفي، بينما العدول المعجمي لم يأخذ حظه الأوفر من الدراسة البلاغية التي تكشف مزاياه ومقاصده المعنوية والصوتية .**
- **اهتم بعض المفسرين بإبراز الدلائل البلاغية لكثير من الشواهد العدولية على المستوى المعجمي، وفي مقدمتهم الزمخشري وأبو حيان وأبو السعود والبيضاوي والرازي والبقاعي والألوسي، وقد استفاد الباحث من أقوالهم في التوجيه البلاغي لهذا النوع العدولي .**
- **يعد العدول المعجمي أسلوبًا بلاغيًّا تميَّز به القرآن الكريم حيث كثرت فيه شواهده، وذلك لما في الانتقال من أسلوب إلى آخر من تنشيط السامع وتنبيهه إلى المغزى، وتنقسم أغراض العدول قسمين : أغراض معنوية وأغراض صوتية، فمن الأغراض المعنوية : المبالغة؛ ترغيبًا وترهيبًا، والتعظيم والتحقير والتخصيص والتعميم والتنبيه ونحو ذلك، ومن الأغراض الصوتية : التفنن في التعبير ـ وائتلاف اللفظ مع المعنى ومراعاة الخفة اللفظية والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل.**
- **للسياق وظيفة مهمة في تحديد معاني الألفاظ، ومن ثم فهم النص القرآني، فلا يتجلى معنى الكلمة إلا من خلال ربطها مع سابقها ولاحقها من الكلمات. أن للسياق وظيفة مهمة في توجيه المتشابه اللفظي، وبيان أسرار العدول المعجمي، فالقرآن الكريم كتاب معجز، فلا بد أن الاختلاف في صورة اللفظ، يفضي إلى اختلاف في المعنى، ومن دلائل إعجازه دقته العجيبة في اختيار الألفاظ، فكل لفظ وُضِعَ في مكانه المناسب في بناءٍ محكم، بحيث لا يمكن أن يُسْتَبْدَل بلفظ آخر .**

مراجع البحث

ـ القرآن الكريم .

١. **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، للدكتور حسن طبل ـ ط١ ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٤١٨ه ـ ١٩٩٨م**
٢. **الأسلوب والأسلوبية، د . عبد السلام المسدّي ـ الطبعة الثالثة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ١٩٨٢م**
٣. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ـ ط٨ ـ دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م**
٤. **البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ـ تحقيق : صدقي محمد جميل ـ دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ**
٥. **تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ـ تحقيق مجموعة من المحققين ـ دار الهداية**
٦. **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس، ١٩٨٤ هـ**
٧. **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.(دت)**

٨. تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ـ جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة ـ تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ـ الطبعة الأولى ـ كلية الآداب ـ جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م
٩. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ـ تحقيق : سامي بن محمد سلامة ـ ط٢ ـ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ـ تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م
١١. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ـ ط٣ـ مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن،لمحمد بن جرير الطبري ـ تحقيق : أحمد محمد شاكر ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م
١٣. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ـ دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت .
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ـ تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ط١ ـ دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ
١٥. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ـ ط٢ـ دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م
١٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق : الدكتور أحمد محمد الخراط ـ دار القلم، دمشق.
١٧. درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي ـ دراسة وتحقيق وتعليق : محمد مصطفى آيدين ـ رسالة دكتوراه ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى ـ السعودية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م .
١٨. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ـ دار الفكر العربي .
١٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ـ تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط٢٠ ـ دار التراث ـ القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م
٢٠. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ـ مطبعة سفير، الرياض ـ توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٢١. شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد ط: المكتبة التوفيقية .

٢٢. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ ـ ط١ ـ المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤٢٣ هـ
٢٣. لسان العرب، لابن منظور ـ تحقيق : عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي ـ دار المعارف ـ القاهرة .
٢٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ـ تحقيق : صفوان عدنان الداودي ط١ ـ دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت- ١٤١٢ هـ
٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ـ تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ـ ط١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت- ١٤٢٢ هـ
٢٦. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، للدكتور: محمد حسن حسن جبل ـ ط١ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة، ٢٠١٠ م.
٢٧. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ـ تحقيق : الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ـ ط١ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢هـ
٢٨. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، لأحمد مختار عمر وآخرين ـ ط١ ـ مؤسسة سطور المعرفة ـ الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه ـ ٢٠٠٢م
٢٩. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ـ تحقيق: مجمع اللغة العربية ـ دار النشر : دار الدعوة .
٣٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ـ ط٣ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت- ١٤٢٠ هـ
٣١. موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب ـ ط١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢٧ه ـ ٢٠٠٦م
٣٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ـ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .